جامعة عبد الرحمان ميرة – بجاية –

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

عنوان المذكرة:

بناء الشخصيات و علاقته بالواقع السياسي في رواية "دمية النار" ل "مفتي بشير"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

تخصص أدب جزائري

إعداد الطالبتين:

ساسي سعيدة

ڤروش سميرة

إشراف الأستاذ:

عمي لحبيب

السنة الجامعية

2013 – 2012

نشكر و نحمد اللّه تعالى الذي أعاننا و وفقنا في إتمام هذا البحث.

ونتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من قدّم لنا يد المساعدة

ونخص بالذكر عائلتينا و كل الأحبة و الأصدقاء.

كما نتقدم بالشكر إلى الأستاذ – عمي لحبيب – الذي وجّه و تابع هذا البحث.

مقدمة

تملك الرواية القدرة على التقاط الصور الأكثر إيحاء و قربا من الواقع، مصرة على أن تحتضن و تحيط بكل التجليات التي يطرحها الواقع، وبإحكام و عناية شديدة تؤدي دور الأداة التي تنتقل على متنها مستجدات الواقع، لتكون همزة وصل بين الروائي الذي يرصد الواقع، و القارئ الذي يتلقاه و يستوعبه.

و لعل ما دفع الرواية الجزائرية المعاصرة إلى الظهور في قالب واقعي هو حرصها على مسايرة التحولات و التغيرات التي طرأت على الواقع الجزائري و طرحها في أسلوب متطور، يمنح الرواية روح الفن الذي يستحوذ على ذهن القارئ.

و يعد "مفتي بشير" أحد الروائيين الذين اتخذوا من معطيات الواقع مادة في بناء أعمالهم الروائية، موجها قلمه نحو تصوير و وصف الوقائع التي برزت في المجتمع الجزائري، لذلك كان لما صدر له من أعمال روائية أثر واضح على القارئ الجزائري الذي وضع أمام وقع الصراع و التحولات التي شهدها المجتمع الجزائري، خاصة على الصعيد الاجتماعي و السياسي. فجاءت بذلك رواياته تنبض بالواقعية التي سمحت بالاطلاع على حياة و سلوك الفرد الجزائري و اتجاهاته المختلفة التي تشير إلى تعدد الشخصيات و مواقفها في الواقع.

و تندرج رواية "دمية النار" في إطار ذلك الكم الأدبي، الذي سمح "لمفتي بشير" بفرض وجوده كروائي في الساحة الأدبية. لتكون بذلك روايته "دمية النار" موضوع البحث الذي استوقفنا لدراسته و تحليله، و الذي قادنا إلى التساؤل عن ما هي الأبعاد و الدلالات التي منحها "مفتي بشير" لشخصيات روايته؟ و ما علاقتها بالواقع السياسي الذي جسدته هذه الرواية؟ و هو ما جاء تحت عنوان (بناء الشخصيات و علاقته بالواقع السياسي في رواية "دمية النار" "لمفتي بشير").

إن ما تحمله هذه الرواية من أبعاد واقعية و دلالات رمزية، تسمح للقارئ بالولوج إلى أعماقها و الاطلاع على خبايا أحداثها، و تجعله يؤمن بحقيقة و واقعية تلك الصورة التي قدمت له و التي تفتح آفاقا لمعرفة حقيقة ما تعيشه البلاد بعد الاستقلال، و هي الحقيقة التي دفعتنا لاختيار هذه الرواية كموضوع لبحثنا، رغبة منا في رفع الستار عنها و الوقوف عند تقلبات واقع المجتمع الجزائري الذي سقط في أعماق مظلمة في مرحلة من مراحله التي اتسمت بالظلم و الفساد، و الكشف عن أثر ذلك في تكوين نفسية الفرد و تحوّلها، باعتبار أن هذه الرواية جسّدت الراهن السياسي الذي أقحم الفرد الجزائري في أزماته و تناقضاته.

و كانت دراستنا وصفية تحليلية؛ و المقاربة الوصفية التحليلية، قد تستثمر آليات نقدية من مناهج متنوعة، و ذلك حسب الحالة التأويلية و هذا ما يجعل منها مقاربة مفتوحة على مختلف المناهج النقدية.

و لإظهار العلاقة بين أحداث هذه الرواية و الواقع الجزائري المعاش، ارتأينا وضع خطة تحتوي على مقدمة و مدخل و فصلين و خاتمة. حيث طرحنا في المقدمة موضوع البحث و دوافع اختياره و الغاية منه، كما أشرنا إلى المنهج المتبع و الأجزاء التي انبنى عليها البحث، مع ذكر بعض العراقيل التي صادفناها أثناء الدراسة و التحليل.

و خصصنا المدخل للتفصيل في مفهوم الشخصية في النص الروائي و الدور الذي تضطلع به مع تحديد أنواع الشخصيات و المقاييس المعتمدة في تقديمها داخل النص ثم توضيح علاقتها و درجة فعلها داخل الأحداث و مدى ارتباطها بالفضاء الزماني و المكاني.

و قد تناولنا في الفصل الأول بناء الشخصيات و أبعادها الرمزية في الرواية، و الذي تفرع إلى ثلاثة مباحث. تعرضنا في المبحث الأول إلى الأبعاد الرمزية للشخصية الرئيسية، حين سلّطنا الضوء على الملامح النفسية لشخصية "رضا شاوش" باعتبارها شخصية رئيسية، و اتبعنا بالتحليل ذلك التحول السلبي الذي طرأ عليها. في حين عمدنا في المبحث الثاني إلى توضيح دور الشخصيات المساعدة في توجيه و تطور الأحداث و إبراز مدى إسهام كل منها في بناء الشخصية الرئيسية. كما يتضمن المبحث الثالث الشخصيات الثانوية و الهامشية مع توضيح أدوار الشخصيات الثانوية و التكميلية التي تعطي وجودا واضحا للشخصية الرئيسية، مع الكشف عن وظيفتها في تقريب القارئ من واقعية الأحداث، ثم ضرورة استدعاء الشخصيات الهامشية في الرواية و ما تؤديه من دور في إيهام القارئ بواقعية الأحداث و أهميتها في استناد الشخصيات الأخرى إليها في أداء أدوارها.

أما الفصل الثاني فقد تطرقنا فيه إلى الحديث عن الواقع السياسي السائد في الجزائر من خلال الرواية، مباشرة بعد الاستقلال و علاقة الشخصيات بهذا الواقع الذي أفرزته طبيعة الحكم في تلك الفترة، و الذي جاءت دراسته في ثلاثة مباحث. حيث أدرجنا في المبحث الأول الشخصيات الخاضعة للواقع السياسي مع إبراز أهم الوقائع السوداوية الغامضة التي شكّلت نكسة في التاريخ الجزائري من جراء الممارسة الفاسدة للسلطة، و إظهار مدى تصوير هذه الشخصيات للوجوه السياسية الخاضعة و المستسلمة للواقع الذي فرضته القوى المهيمنة على البلاد، ثم يليه المبحث الثاني الذي عمدنا فيه إلى رصد طبيعة الصراع و خبايا و أسرار كل أنواع المواجهة التي جسدتها الشخصيات المعارضة للواقع ضد طبيعة الحكم و السلطة الفاسدة في الجزائر، في حين خصصنا المبحث الثالث لدراسة و تحليل

الشخصيات المتقلبة في ظل الواقع السياسي و ذلك بإبراز أثر الفساد السياسي في تحويل و تغيير طبيعة الفرد الجزائري.

و في الخاتمة أوردنا أهم النتائج التي استطعنا أن نقف عندها في مسار بحثنا و دراستنا لهذه الرواية التي عبّرت عن معاناة الفرد الجزائري في ظل الظلم و القهر الذي فرضه الواقع السياسي في البلاد مباشرة بعد الاستقلال.

و لكن الإلمام بالمراجع المحيطة بالموضوع كان من الصعوبات التي أعاقت مسار بحثنا، إلا أن هذا لم يمنع من الاستمرار و مواصلة البحث في هذا الموضوع.

المدخل: في مفهوم الشخصية.

يسعى كل روائي إلى إيجاد قاعدة يرتكز عليها لبناء أعماله الروائية، بعيدا عن الاعتباطية في اختيار الأسس و التقنيات التي توجه مسار تطور الخطاب الروائي و نموه. ليحظى بذلك ببعض من التميّز عن غيره من الروائيين الآخرين. و مما لا شك فيه أن الرواية العربية المعاصرة التي تندرج ضمن هذا الخطاب المتميّز تقوم و تتبنى على قدرة المؤلف في انتقاء المكونات الشكلية المؤسسة لها، و أول ما يصادفه القارئ في النص الروائي هي الشخصية أو الشخوص التي تفتح المجال للولوج إلى أعماق النص الروائي باعتبارها المكون الفني الأساسي الذي يعتمد عليه الروائي في دفع أحداث روايته إلى الصعود و الاكتمال، **<< و بسبب الدور الذي تضطلع به الشخصيات في السرد الروائي، جرى الاعتراف بالروائي على أساس مقدرته في رسم الشخوص، فالروائي الجيد هو الذي يستطيع أن يبتكر، و يبدع في رواياته، شخصيات جيدة >>**[1].

فالشخصيات هي أكثر المكونات تجسيدا لرؤى المؤلف و أفكاره سواء أكان ذلك لمعالجة إحدى القضايا المتأزمة في المجتمع أو لتعرية الواقع و إظهاره للعيان بشكله الحقيقي، **<< فالشخصية مهمة لدى الكاتب، و هي في كثير من الأمثلة تشكل النائب الفكري و الاجتماعي أو السياسي عن منتج النص نفسه>>**[2]. ومن هنا يتضح أنه من غير الممكن تهميش و إهمال الشخصية في أي عمل روائي. فهي بمثابة الكائن البشري المتجذر في الواقع، فكما تستند حركية الواقع إلى المبادرة

---

[1] خليل ابراهيم، بنية النص الروائي، الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، ط1، 2001، ص173.

[2] سليمان حسن، مضمرات النص و الخطاب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 1999، ص359.

الفعليــة للإنســان تســتند أحــداث الروايــة فــي تطورهــا إلــى ممارســات الشخصــيات الروائية.

و نظـرا لهـذه الأهميـة التـي اكتسـبتها الشخصـية الروائيـة أضـحت محـل تضـارب و اخـتلاف النقـاد و الدارسـين لـلأدب فـي تحديـد مفهومهـا: << **ففـي النظريـات السـيكولوجية تتخـذ الشخصـية جـوهرا سـيكولوجيا، وتصـير فـردا، شخصـا، أي ببسـاطة كائنـا إنسـانيا. و فـي المنظـور الاجتمـاعي تتحـول الشخصـية إلـى نمـط اجتمـاعي يعبـر عـن واقـع طبقـي و يعكـس وعيـا إيـديولوجيا بخـلاف ذلـك لا يعامـل التحليـل البنـوي الشخصـية باعتبارهـا جـوهرا سـيكولوجيا، و لا نمطـا اجتماعيـا و إنمـا باعتبارهـا علامـة يتشـكل مـدلولها مـن وحـدة الأفعـال التـي تنجزهـا فـي سـياق السـرد و ليس خارجه.** >>[1].

إن النظـرة النقديـة التـي يسـلطها كـل ناقـد علـى الشخصـية الروائيـة تـأتي حسـب المفهـوم الـذي يقدمـه لهـا و الـذي قـد يسـتند إلـى الشـكل و الـدور و الدلالـة التـي تضـطلع بهـا داخـل الروايـة، لـذلك أثـار تحديـد مفهومهـا العديـد مـن المشـاكل التي اعترضت سبيل الباحثين، خاصة تلك المتعلقة بمكوناتها و تحليل مستوياتها:

<< ـ أولا النحـوي: فالشخصـيات تنتشـر علـى امتـداد الـنص لتحتـل موقعهـا مـن خـلال الأفعال التي تسند لها.

ـ ثانيا السردي: لأن الشخصية بوصفها وحدة سردية تسهم في القصة المروية.

[1] محمد بوعزة، تحليل النص السردي ـ تقنيات و مفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط، ط1، 2010، ص 39.

ـ أخيرا الأدبي: يعتمد هذا المستوى اعتمادا كليا على ما يقيمه النص من علاقة بالعالم الخارجي و ذلك انطلاقا من الاعتقاد السائد بالعلاقة الوثيقة الموجودة بين النص و الشخصيات الحقيقية >>[1] .

و تلعب الشخصية الروائية الدور الأساسي و الرئيسي في كل عمل روائي، فكلما اختلفت و تنوعت الشخصيات الروائية، كلما اختلفت و تنوعت أدوارها و وظائفها و النتائج المستنبطة من خلال علاقتها ببعضها البعض و قدرتها على تلبية رغبة المؤلف في إقناع القارئ و التأثير فيه، إذ **<< تتعدد الشخصيات الروائية بتعدد الأهواء و المذاهب و الإيديولوجيات و الثقافات و الحضارات و الهواجس و الطبائع البشرية >>[2] .**

و هذا ما يجعلنا نصادف عدة أنماط من الشخصيات الروائية في تحليل النقاد و الدارسين لها، و منها ما أصطلح عليها بالمدورة و المسطحة، و الرئيسية و الثانوية و الهامشية. و ذلك على اختلاف وجهات نظرهم و المقاييس المعتمدة في التصنيف، ونحن نقف عند مقياسين طالما أدرجهما أغلب النقاد في دراساتهم التحليلية للشخصية الروائية و هما حسب الحالة أو العرض و حسب الدور أو الوظيفة.

تنقسم الشخصيات حسب الحالة أو العرض، إلى الشخصية المدورة **<< التي تنهض بدور يتطلب الحركة و التغير من فصل لآخر ومن حدث لآخر، فهي تؤثر في الحوادث و تتأثر بها و تتغير مع تقدم الزمن [...] فالشخصية المدورة هي**

---

[1] ينظر : رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2006، ص129.

[2] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية ــ بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، د ط، 1998، ص73.

الشخصية التي تتأثر بوقائع الرواية من جهة، و يستطيع القارئ رؤيتها من جوانب متعددة من جهة أخرى >>[1].

إذا كانت الشخصية المدورة في نموها و تطورها تساهم في سيرورة الأحداث و تتحكم فيما تمنحه الرواية للقارئ سواء من حيث كمية المعلومات أو كيفية حدوثها، فإن الشخصية المسطحة << **هي تلك الشخصية البسيطة التي تمضي على حال لا تكاد تتغير في عواطفها ومواقفها و أطوار حياتها بعامة >>[2]**، فهي إذن أقل أهمية من الشخصية المدورة من حيث الحالة و العرض في العمل الروائي.

فتنقسم الشخصيات الروائية من حيث الدور و الوظيفة إلى الشخصية الرئيسية و << **هي الشخصية الفنية التي يصطفيها القاص لتمثل ما أراد تصويره أو ما أراد التعبير عنه من أفكار و أحاسيس، و تتمتع الشخصية المحكم بناؤها باستقلالية في الرأي و حرية الحركة داخل مجال النص القصصي و قد تكون هذه الشخصية قوية ذات فاعلية كلما منحها القاص الحرية، و جعلها تتحرك و تنمو وفق قدراتها و إرادتها بينما يختفي هو بعيدا يراقب صراعها و انتصارها و إخفاقها وسط المحيط الاجتماعي أو السياسي الذي رمى بها فيه >>[3]**، و على الرغم من حريتها و قيامها بذاتها إلا أنها لا يمكن أن تكتمل وظيفتها أو تؤدي دورها دون أن تقيم علاقات مع باقي شخصيات الرواية خاصة مع الشخصيات الثانوية << **التي تنهض بأدوار محدودة إذا ما قورنت بأدوار الشخصيات الرئيسية. قد تكون صديق الشخصية الرئيسية أو احدى الشخصيات التي تظهر في المشهد**

---

[1] خليل ابراهيم، بنية النص الروائي، ص 206.

[2] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 89.

[3] شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 1998 ص33.

بين حين و آخر، فقد تقوم بدور تكميلي مساعد للبطل أو معيق له و غالبا ما تظهر في سياق أحداث أو مشاهد لا أهمية لها في الحكي. و ترسم على نحو سطحي، حيث لا تحظى باهتمام السارد في شكل بنائها السردي، غالبا ما تقدم جانبا واحدا من جوانب التجربة الإنسانية >> [1].

أما الشخصيات الهامشية فهي شخصيات عديمة الاعتبار لا تحمل دور نام في النص، بل تستند إليها الشخصيات الرئيسية و الثانوية لإتمام أدوارها. ففي بعض الأحيان توضع لها أسماء، لكن في الغالب تبقى مجرد شخصيات رمزية تطل في الرواية بشكل عابر فقط، فمن الواضح أنه **<< لا يمكن أن تكون الشخصية المركزية في العمل الروائي إلا بفضل الشخصيات الثانوية التي ما كان لها لتكون، هي أيضا، لولا الشخصيات العديمة الاعتبار >>** [2] .

إن العمل الروائي لا يقوم إطلاقا على الشخصيات الجاهزة، إنما ينطلق الروائي في تشكيل شخصياته الروائية من فراغ، أي من شخصيات مجردة، ثم يسعى إلى تطويرها و تنميتها من خلال الأفعال و الأدوار التي يسندها لها، لتكتمل و تتشكل على طول النص الروائي، فتتنوع و تختلف حسب أدوارها و الأسماء التي أطلقت عليها و هذه **<< الأسماء المختلفة التي تحملها الشخصيات تسفر عن سمات التميّز و تتم وفق إجراءات متنوعة >>** [3]. وهي إما أسماء موحية دالة على معاني و دلالات أو هي أسماء يطلقها الروائي بشكل عشوائي لا تحمل أي بعد دلالي. إذ **<< يترجح استخدام الروائيين لأسماء شخصياتهم الحكائية بين مستويين تعبيريين دائما: مستوى اعتباطي يخلو معه الاسم من أي دلالة،**

---

[1] محمد بوعزة ، تحليل النص السردي، ص 57.

[2] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 89.

[3] رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص 139.

و آخر رمزي يبدو معه الاسم موحيا و زاخرا بالدلالات المعبرة عن السمات المميزة لهذه الشخصية المادية و المعنوية >> [1].

ومع انتقاء و اختيار الروائي لشخصياته تبقى له اشكالية الكيفية و الطريقة التي يقدم بها هذه الشخصيات. و أكثر ما يساعد على معرفة الشخصية داخل أحداث الرواية هما المقياسان الكمي و النوعي اللذان حددهما "فيليب هامون": **<< فاستعمالنا للمقياس الكمي في دراسة الشخصيات في الرواية المغربية مثلا يمكّننا من إدراك الأبعاد الدالة و الوضع الحقيقي الذي يتخذه هذا المكون الأساسي ضمن البنية الروائية، كما يتيح لنا العمل بالمقياس النوعي التعرف على أشكال التقديم الذي يكون في أصل المعلومات التي تمدنا بها الرواية عن شخصية ما >>**[2].

و انطلاقا من المقياس النوعي الذي يهتم بمصدر المعلومات المعطاة للشخصية. فإنه تم التمييز بين طريقتين في تقديم و وصف الشخصية:

<< ـ التقديم المباشر حيث يكون مصدر المعلومات عن الشخصية هو الشخصية نفسها، بمعنى أن الشخصية تعرّف نفسها بذاتها باستعمال ضمير المتكلم، فتقدم معرفة مباشرة عن ذاتها دون وسيط [...] مثلما نجد في الاعترافات و المذكرات و اليوميات و الرسائل.

---

[1] نضال الصالح، النزوع الأسطوري في الرواية العربة المعاصرة ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط2، 1992، ص177.

[2] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 2، 2009، ص 224.

ـ التقديم غير المباشر حين يكون مصدر المعلومات عن الشخصية هو السارد، حيث يخبرنا عن طباعها و أوصافها، أو يوكل ذلك إلى شخصية أخرى من شخصيات الرواية >>[1].

إن اهتمام الأدباء بالشخصية الروائية مفاده أنها العنصر الأساسي في خلق و بناء مختلف العناصر الروائية، إذ تؤدي العلاقات المتضاربة و المتعارضة القائمة بين أنواع الشخصيات إلى خلق الحدث الذي يسعى الروائي إلى تجسيده داخل الرواية، فلا شك إذن **<< أن الشخصية الروائية هي الصانع الرئيسي للحدث، في البداية تكون متأثرة لموقفها الثقافي و الاجتماعي و السياسي لتنطلق إلى صنع الحدث الذي يولد مجموعة مواقف جديدة تتناسب و الطارئ الحدثي الجديد و تتميز بعض الشخصيات بقدرتها الخاصة على صنع الحدث و التمهيد لصنعه >>[2].**

و حتى و إن كانت الشخصية الروائية تحتل الصدارة بالمقارنة مع العناصر الروائية الأخرى من حيث الأهمية، فإنها لا تتجسد أو تتشكل إلا بالحدث الذي يمنحها وجودها، باعتبار أن الحدث في حد ذاته هو النص الروائي وهذا يقودنا إلى الإدراك **<< أن الشخصية لا تشكل داخل النص السردي سوى عنصر من العناصر التي يعج بها الكون النصي، فإن إدراكها لا يمكن أن يتم بشكل منعزل عن باقي العناصر الأخرى >> [3].**

---

[1] محمد بوعزة ، تحليل النص السردي، ص44.

[2] سليمان حسن، مضمرات النص و الخطاب، ص 347.

[3] سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصيات السردية ، دار مجدلاوي، عمان، ط1،2003، ص37.

يفترض في الشخصية أن تتواجد في الفضاء الزمني و المكاني اللذين يشكلان بيئة الرواية و المحيط الذي يحركها و يوجهها . فإذا كان المكان هو الحيز الذي يحتضن الأحداث و الشخصيات، فإن الزمن كفيل برصد و كشف و تتبع تحولات و تطور الشخصيات و الأحداث اللذين لا يمكن أن يتواجدا في النص الروائي بمعزل عنه. و يتضح من هذا **<< الدور الكبير الذي يلعبه الزمن في بناء فضاء الرواية الإجمالي، سواء أكان ذلك على مستوى تسلسل الأحداث وسردها أم على مستوى بناء الشخوص >>**[1].

و ما يجعل الرواية أكثر تشويقا و تأثيرا لدى القارئ هو ذلك التلاعب الزمني الذي يقوم به الروائي على مستوى سرد الأحداث. و هذا ما يكسب الرواية زمنين **<< زمن القصة و هو زمن وقوع الأحداث المروية في القصة، فلكل قصة بداية و نهاية. يخضع زمن القصة للتتابع المنطقي. زمن السرد وهو الذي يقدم من خلاله السارد القصة، ولا يكون بالضرورة مطابقا لزمن القصة >>**[2]. و هذا ما يؤدي إلى ظهور ما يسمى بالمفارقات الزمنية التي تترتب عن توظيف تقنيات السوابق و اللواحق، و تسريع السرد أو تبطئته، **<< ذلك أن الراوي قد يبدأ السرد في بعض الأحيان بشكل يطابق زمن القصة لكنه يقطع بعد ذلك السرد ليعود إلى وقائع تأتي سابقة في ترتيب زمن السرد عن مكانها الطبيعي في زمن القصة [...] و هناك إمكانية استباق الأحداث في السرد بحيث يتعرف القارئ إلى وقائع**

---

[1] يوسف الأطرش، المنظور الروائي عند محمد ديب، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، دط، 2004، ص271.

[2] محمد بوعزة ، تحليل النص السردي، ص 87.

قبل أوان حدوثها الطبيعي في زمن القصة و هكذا فإن المفارقة إما أن تكون استرجاعا لأحداث ماضية أو استباقا لأحداث لاحقة >>[1].

ويتحدد إيقاع السرد في النص الروائي حسب كيفية سرد الأحداث و يظهر ذلك من خلال سرعتها أو بطئها. **<< ذلك أن تسريع السرد أو إبطاء السرد ظاهرة زمنية تلعب دورا بارزا في بناء الرواية، و خاصة عند المقارنة بين مدة القصة و طول الخطاب الذي يتناولها، ففي حالة الخلاصة و الحذف مثلا يجري تقليص فترة طويلة من القصة و عرضها في حيز صغير من الخطاب. أما في حالة المشهد و الوقف، فإن فترة قصيرة من القصة تكون موضوعا لصفحة أو صفحات عديدة من الخطاب و بين النوع الأول و الثاني تتحقق زمنية الرواية و تستكمل بنيتها الزمنية عناصرها >>[2].**

ويضاف الزمن إلى العناصر التي لا سبيل للاستغناء عنها في بناء أي نص روائي **<< فالزمن نسج، ينشأ عنه سحر، ينشأ عنه عالم، ينشأ عنه وجود، ينشأ عنه جمالية سحرية أو سحرية جمالية ... فهو لحمة الحدث و ملح السرد و صنو الحيز، و قوام الشخصية >>[3]**، لذلك يستحيل أن يقوم أي نص روائي دون المكون الزمني.

و بطبيعة الحال، لا يكتفي الروائي بإشراك الزمن فقط في بناء عمله الروائي بل **<< يشارك المكان في توليد معنى النص الروائي، فقد يكون النص الذي تعبر به الشخصية عن وجهة نظرها حيال موقف ما، فيتجاوز دوره كديكور للدلالة**

---

[1] حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة و النشر و التوزيع، ط3، 2000، ص 74.

[2] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 199.

[3] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص178.

علـى قضـايا فكريـة و نفسـية و اجتماعيـة و اقتصـادية و سياسـية، يلبسـها بفعـل الحركـة التـي تمـارس داخلـه، و الشخصـية التـي تسـكنها و الـزمن الـذي يمـر بـه، إنـه واحد من أهم مكونات المضمون الروائي >>[1].

فتجسـيد المكـان فـي الـنص الروائـي يمـنح الأحـداث بعـدا واقعيـا، ليضـع القـارئ فـي عـالم قريـب مـن عالمـه الحقيقـي و هـذا مـا يجعـل المكـان **<< يمثـل مكونـا محوريـا فـي بنيـة السـرد، بحيـث لا يمكـن تصـور حكايـة بـدون مكـان، فـلا وجـود لأحـداث خـارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد >>[2].**

كمـا لا يمكـن للمكـان أن يقـوم بمعـزل عـن بـاقي المكونـات السـردية الأخـرى، بحيـث يقـيم علاقـات وطيـدة مـع هـذه المكونـات الحكائيـة كالشخصـيات و الحـدث و الـزمن، إذ لا يمكـن للقـارئ أن يـدرك تلـك الإحـالات المختلفـة و المتعـددة للمكـان بعيـدا عـن بـاقي عناصـر الروايـة خاصـة علاقتـه بالشخصـية. بحيـث **<< لا يسـتطيع الروائـي تشـكيله بعيـدا عنهـا، ولا يمكنهـا هـي التحـرك خارجـا عنـه، فهـو بيئتهـا التـي يعـيش وسـطها، تخترقـه، فتمنحـه قيمتهـا، و يحتضـنها، فيعطيهـا حيـزا تحيـا فيـه و به و له >>[3].**

يمكـن القـول، أن الروائـي يعمـل علـى انتقـاء شخصـياته الروائيـة فـي الحيـاة الواقعيـة التـي يعيشـها، و ذلـك فـي زمـن معـين و حيّـز مكـاني تكتسـب مـن خلالهمـا الشخصـية خصوصـيتها التـي تثيـر انتبـاه الروائـي ليجسّـدها فـي عمـل إبـداعي يظـل بـلا شك راسخا في ذهن القارئ.

---

[1] الشـريف حبيلـة، الروايـة و العنـف ــ دراسـة سوسيونصـية فـي الروايـة الجزائريـة المعاصـرة، عـالم الكتـب الحـديث، الأردن، ط1، 2010، ص25.

[2] محمد بوعزة ، تحليل النص السردي، ص 99.

[3] الشريف حبيلة، الرواية و العنف، ص 22.

الفصل الأول: بناء الشخصيات و أبعادها الدلالية و الرمزية.

المبحث الأول: الشخصية الرئيسية .

تمهيد

1- الملامح النفسية لشخصية "رضا شاوش".

2- التحول السلبي في شخصية "رضا شاوش".

المبحث الثاني: الشخصيات المساعدة.

تمهيد

1- شخصية " والد رضا شاوش".

2- شخصية "رانيا مسعودي".

3- شخصية " الرجل السمين".

4- شخصية "سعيد بن عزوز".

المبحث الثالث: الشخصيات الثانوية و الهامشية.

1- الشخصيات الثانوية.

2- الشخصيات الهامشية.

المبحث الأول: الشخصية الرئيسية.

تمهيد:

يشتدّ الصراع في واقع حياة الإنسان ليشكل صورة واضحة للفرد، و التي انبنت و اكتملت في خضمّ هذا التوتر الذي يكسب الفرد و يمنحه سلوكا معينا. ليتطلع به داخل مجتمع يفسح المجال لتضارب و تصادم سلوكات الأفراد المختلفة، الناشئة عن تضارب وجهات النظر و الرغبات المكبوتة في النفس. و هو ما ساهم في سيرورة و ديمومة الصراع في واقع حياة الإنسان، وهذا الصراع لا يقتصر فقط على الصراع الخارجي القائم بين الأفراد، و إنما يحدث و أن يكون صراعا داخليا قائما بين الفرد و نفسيته.

و نظرا لتأثر الفرد بالواقع و تأثيره فيه عمد "مفتي بشير" في روايته "دمية النار" إلى خلق و تشكيل شخصية رئيسية ذات أبعاد اجتماعية و نفسية. تحمل سلوكات و تصرفات منبثقة من الواقع، من خلال << **التصوير الحياتي المادي الأمين لدقائق الحياة اليومية للأفرد و الجماعات، في اختلاف تحركها و تنازعها [...] لأن ذلك كله هو الواقع بعينه و المثال الذي تقاس عليه الأشياء و تتصل به النفوس، و تستعيد ما كانت عليه و تترقب ما تؤول إليه في مقبل الأيام** >> [1].

يضع "مفتي بشير" "رضا شاوش" كشخصية رئيسية تنهض بالبطولة إذ يمكن من خلالها الكشف عن خبايا و أسرار هذه الرواية. و من الملاحظ أن شخصية "رضا شاوش" تتشكل منذ طفولته، من خلال علاقته بالشخصيات الأخرى التي

[1] ياسين الأيوبي، واقعية الأدب في رواية أنّا كارنينا لتولستوي، الدار النمودجية، بيروت، ط1، 2001، ص 19.

ساهمت في تكوين حالته النفسية و هي الحالة التي سطرت له طريقا و هيأته للتغيير.

1- الملامح النفسية لشخصية "رضا شاوش":

تعبث الظروف الاجتماعية القاسية بحياة الإنسان، مقتحمة بذلك حالته النفسية. فلا سبيل للخلاص منها خاصة إذا فرضت هذه الظروف قساوتها منذ الطفولة، مصاحبة له بعد ذلك في الحياة. و هذا ما نلمسه في شخصية "رضا شاوش" الذي حاول الوقوف و الكشف عن مختلف المحطات القاسية التي تعرض لها منذ طفولته.

إذ سعى "مفتي بشير" في روايته "دمية النار" إلى جعل شخصية "رضا شاوش" شخصية واقعية تحكي سيرتها الذاتية، و ذلك بمنحها موقع السارد الذي **<< ينقل تجاربه دون رقيب أو وصاية من أحد، إنه يعلن عن نفسه منذ البدء، و يسلط الضوء على التجارب التي يود تسليط الضوء عليها، و يغفل من سيرته ما شاء أن يغفله >>** [1].

إن استرجاع "رضا شاوش" لماضيه، و عدم إغفاله لمرحلة الطفولة التي عاشها في ظل أسرته، يوحي إلى مدى تأثير هذه المرحلة في نفسيته حتى و إن لم يتذكر كل تفاصيلها، إلا أن بعض الومضات الخاطفة ظلت راسخة في ذهنه. و هي كفيلة لتشكل توترا و اضطرابا في نفسية طفل يحيا في قلق و عنف أسري ناجم عن سلوكات و تصرفات الأب و هو ما يتضح في قوله: **<< لا أتذكر طفولتي جيدا، بعض الومضات الخاطفة فقط [...] مثلما رأيت أبي**

[1] عبد المنعم زكريا القاضي، البنية السردية في الرواية، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، القاهرة ، ط1، 2009، ص 157.

مـرة يضـرب أمـي ضـربا عنيفـا [...] أتـذكر فقـط حالـة الألـم الـذي سـببه الموقـف حينها بداخلي، كما لو أنه خلق منطقة صامتة، و جرح لا يبرأ ...>>[1].

و هـذا العنـف الـذي يـراه "رضـا شـاوش" فـي والـده لـم يدفعـه لاتخـاذ قـرار حاسـم كالشـعور بـالكره أو السـوء تجاهـه، بـل ظـل شـعوره مضـطربا بـين حبـه لـلأب الـذي هـو قـدوة كـل ابـن و بـين كرهـه للعنـف و التسـلط الصـادر عنـه. و يظهـر شـعوره الغريـب تجـاه والـده فـي قولـه: **<<... كتمـت غيظـي و بقيـت أحـس نحـو أبـي بشـيء لا تفسـير لـه مرضـي بالتأكيـد، عقـدة خاصـة، و خالصـة، معقـودة بحيـث لا تبـرأ منهـا بسهولة >>[2].**

لكـن هـذا لـم يمنعـه مـن الشـعور بـالفخر تجـاه قـوة و سـلطة والـده، هـذه القـوة التـي سـببت فـي اتسـاع الهـوة بينهمـا و خلـق نـوع مـن الخـوف الـذي دفعـه إلـى تلبيـة رغبـات و أوامـر والـده. ربمـا ليحظـى بثقتـه التـي طالمـا اعتبرهـا منفـذا للـتخلص مـن سـطوته و جبروتـه: **<<... و لعلـى مـا كابـدت مشـاق الـتعلم سـنواتها إلا تحـت تـأثير جملتـه تلـك، أن يثـق فـي والـدي، فهـذا كـان بالنسـبة لـي الضـمان الوحيـد لحريتـي، لعـدم ضـربه لـي إن أخطـأت أو أفسـدت >>[3].** و هـذا مـا جعلـه يكتفـي بحنـان و عاطفـة أمـه التـي شـكلت لـه مـلاذا يلجـأ إليـه لراحـة نفسـيته و الـتخلص مـن الاضـطرابات و العقـد التـي أنهكـت روحـه: **<< ... كـان يكفينـي فخـرا أن لـي أبـا يهـاب منـه الجميـع، غيـر أنـه كـان يخيفنـي أنـا أيضـا [...] و اكتفيـت حينهـا بحنـان أمـي الرقيـق، و مـا كانـت تفعله من أجل حمايتنا نفسيا من قهر زوجها الغليظ >>[4].**

---

[1] بشير مفتي، دمية النار، الدار العربية للعلوم ناشرون . منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 25.

[2] الرواية، ص 25.

[3] الرواية، ص 26 . 27.

[4] الرواية، ص 27.

وضعت الحياة الغامضة التي يعيشها "والد رضا شاوش" ابنه في دوامة من الحيرة و التساؤلات عن حقيقة هذا العالم الذي ينتمي إليه والده، هذا العالم الذي أخذه منه و جعله يختلف عن باقي الأباء. فكان يشعر تجاهه بمشاعر متناقضة؛ يحبه لأبوته، يكرهه و يخافه لعنفه و تسلطه، و يحترمه لمكانته إذ يقول: << **مشاعري نحوه متناقضة أحبه و أكرهه، أخافه و أحترمه، أرغب في الانتساب إليه و أمقت ذلك الانتساب، كانت لدي أسئلة كثيرة و لم أجرؤ حتى على طرحها** ...>>[1].

فالمشاعر المتناقضة التي تنتاب "رضا شاوش" سرعان ما بدأت تظهر في سلوكاته، حيث لم يكن يتحمل المساس بسمعة والده من قبل الآخرين و كأنه اعتزاز و تمسك لا إرادي باحترام سمعة والده: << **إنهم يتحدثون عن أبي، تمنيت يومها لو لم يرسلني والدي لشراء الحليب من ذلك المقهى العفن، و من كان هؤلاء حتى يتكلمون عنه بهذا الشكل الوقح؟** ...>>[2]. لكن هذا لم يقتل في نفسية "رضا شاوش" ذلك الإحساس السلبي تجاه والده، لذلك لم يتمكن من الوشاية بالذين أساؤوا لوالده. ربما لرؤية خوفه و ضعفه هو في عيون تلك الوجوه: << **لأول مرة تعثر لساني، و رغم رغبتي في أن أشي بالذي تكلم عنه بالسوء إلا أن الوجوه الخائفة بالمقهى جعلتني أصمت، فنالني عقاب شديد القوة منه** >>[3].

جعلت هذه الحادثة "رضا شاوش" يفقد احترام و ثقة والده، التي طالما سعى إلى تحقيقها و التمسك بها، لأنها السبيل الوحيد للتخلص من عنفه و جبروته، و في المقابل حظي بحب و احترام سكان الحي. لكن بالنسبة له تبقى ثقة والده هي أكثر ما يرضيه و يواسي حالته النفسية، إذ لم يكن من الممكن تغيير الصورة الثابتة

[1] الرواية، ص 28.

[2] الرواية، ص 33.

[3] الرواية، ص 33.

التـي يظهـر بهـا أبـوه، مـدركا أنـه مهمـا كانـت المواقـف التـي يتخـذها حيالـه، إيجابيـة أم سـلبية، فإنـه لـن يـتمكن مـن زعزعـة تلـك الصـورة الثابتـة: «... **كنـت أنظـر إليـه علـى أنـه ذلـك الجبـل الشـاهق الـذي لـن أقـدر، حتـى لـو كرهتـه، أن أنـال شـعرة واحـدة مـن رأسـه** »[1]. و هـذا الشـعور بـالكره و الحـب فـي نفس الوقـت تجـاه أبيـه ولّـد نوعـا مـن التناقض و التوتر و القلق في نفسية "رضا شاوش".

صـاحبت هـذه الحالـة النفسـية "رضـا شـاوش" حتـى بعـد مـرض أبيـه و انهيـار صـورته التـي اعتـاد عليهـا. فكانـت حيـاة والـده و سـلوكاته أكثـر تـأثيرا فـي نفسـية "رضـا شـاوش"، التـي تتعقـد و تتنـاقض كلمـا اكتشـف جـزءا مـن الحيـاة الغامضـة التـي يحياهـا والـده حتـى بعـد وفاتـه: «... **شـعرت بعقـدة ذنـب نحـوه، و لكـن كتمـت حسـرتي بـداخلي لأننـي حتـى تلـك اللحظـة لـم أكـن قـد حسـمت الأمـر مـع نفسـي، إن كنت أحبه حقا أم لا** »[2].

و علـى الـرغم مـن كـون أمـه المصـدر الوحيـد للعطـف و الحنـان اللّـذين يعوضـان العنـف و القسـوة الصـادرين مـن أبيـه، إلا أنـه لـم يـر فيهـا تلـك الأم و المـرأة المثاليـة القويـة و المتحـررة التـي لهـا مكانـة فـي المجتمـع، بـل كانـت أمـه مـن النـوع الـذي يـزداد ضـعفا كلمـا ازداد جبـروت الـزوج: « **رأيـت أبـي مـرة يضـرب أمـي ضـربا عنيفـا [...] لـم أتـذكر قـط سـبب الضـرب، و سـبب كـل ذلـك العنـف، و الصـراخ، و العويـل، و البكـاء، و اللحـم الأحمـر و الـدم النـازف، و الوجـه المهـان** »[3]. هـذا الصـمت و الخضـوع الـذي تعـيش فيـه أمـه جعلـه يتمنـى لـو كانـت معلمتـه العربيـة هـي أمـه لكونهـا امـرأة مثقفـة، متحـررة، قويـة لا تستسـلم لأي نـوع مـن الإسـاءة و الظلـم و هـو مـا يتضـح فـي قولـه: « **كنـت أتمنـى سـرا لـو كانـت معلمتـي هـي أمـي بالفعـل، تحسـن**

[1] الرواية، ص 35.

[2] الرواية، ص 29.

[3] الرواية، ص 25.

الحديث بلغة جميلة تجعلني أومن بأشياء كثيرة أقتنع بأن جمال الحياة هو الحياة نفسها، أن تعيشها و تحبها و تتذوق كل ما فيها من متع و ملذات ...>>[1].

و هذا ما أراد "رضا شاوش" أن يكون عليه، أي أن ينتمي إلى الفئة القوية و المتحررة في المجتمع. و أمام هذه الغاية تتشكل الحالة النفسية له.

و ما ساهم في تشكيل نفسية "رضا شاوش" أيضا الفتاة "رانيا" التي طالما سعى إلى كسب و نيل حبها: **<< أيامها لم أكن أعرف ما هو الحب و لكن صورة رانيا كانت مختصر الحب و جنونه المتوحش >>[2]**، فكانت " رانيا " في نظر "رضا شاوش" غاية لابد من تحقيقها بأي ثمن. كأن الحياة علمته الحصول على كل ما يريده، سواء أكان ذلك من حقه أو من حق غيره و ذلك لإشباع رغباته لا غير. حيث لم تكن له نظرة واضحة تجاه الحب و هو ما يظهر جليا في قوله: **<< لا أدري ما هو الحب؟**

بقيت دائما عاجزا عن تحديده. لقد كنت أقدسه لكن لم أكن أومن به ...>>[3].

وعلى الرغم من ذلك ظل "رضا شاوش" متمسكا بموقفه تجاه حب "رانيا" التي لم تكن تبادله نفس الشعور و لم تعره اهتمامها لكونها تكبره بثلاث سنوات. و هذا ما أثّر في نفسية "رضا شاوش" و زاده عنادا و تمسكا بها، خاصة باكتشافه للعلاقة التي تربطها بشاب آخر: **<< كنت أتبعها في الصباح و المساء، أتعقب خطاها أينما ذهبت، لهذا جاءت صدمة علاقتها مع ذلك الشاب مروعة للغاية و جارحة لكبريائي حينها >>[4].**

---

[1] الرواية، ص 30.

[2] الرواية، ص 44.

[3] الرواية، ص 44.

[4] الرواية، ص 44.

لـم تكـن نفسـية "رضـا شـاوش" مهيئـة و قابلـة لفقـدان و خسـارة "رانيـا" التـي لـم تكـن لـه أصـلا فـي الواقـع بـل كانـت مجـرد غايـة اسـتطاع أن يحققهـا فـي أحلامـه فقـط. و هـذا مـا جعـل "رانيـا" فـي نظـره خائنـة لمجـرد رؤيتهـا مـع شـاب آخـر، ليضـع نفسـه فـي موضـع الضـحية التـي يحـق لهـا الانتقـام لكبريائهـا. و ذلـك بالوشـاية بهـا لأخيهـا. و تختصـر فعلتـه هـذه، الحالـة النفسـية التـي وصـل إليهـا "رضـا شـاوش": **<< لا أدري لمـا لـم أشـعر بشـيء نحوهـا بـل سـعدت [...] فرحـت بـداخلي كمـا لـو أن أخاهـا انـتقم لـي من تلك الليالي التعيسات و من رفضها المستمر لطلباتي ...>>**[1].

و هنـا يتضـح انعطـاف نفسـية "رضـا شـاوش" عمـا كانـت عليـه مـن قبـل، و ذلـك تحـت تـأثير ظـروف الحيـاة التـي عاشـها فـي كنـف أسـرة كـان فيهـا الأب المـؤثر الأكبـر و كـان فيهـا "رضـا شـاوش" أكثـر المتـأثرين بـه، ليـرث بـذلك بشـكل غيـر إرادي العديـد مـن الجوانـب فـي شخصـية والـده و هـو مـا نكتشـفه فـي قولـه: **<< لـم أشـعر بالخيانـة و لأول مـرة ذقـت فـرح التعـذيب، و أحسسـت ببشـاعة أننـي فـي جـزء منـي أشـبه أبـي حينهـا، و لـم يـدر ببـالي أننـي كنـت أخـون كـل مـا قـرأت مـن كتـب، أخـون روحـي و أنزلها إلى مستنقع دنس و أرض تفوح بالكراهية و الشر >>**[2].

و بهـذا جعـل "مفتـي بشـير" شخصـية "رضـا شـاوش" شخصـية حساسـة، يسـهل الولـوج إلـى أبعـاد الروايـة مـن خـلال نفسـيتها التـي حـرص علـى تشـكيلها انطلاقـا مـن تأثرهـا بالوقـائع الخارجيـة التـي تحمـل فـي طياتهـا غموضـا يـدفع الـنفس إلـى الاضـطراب و القلق و التوتر.

2- التحول السلبي في شخصية "رضا شاوش":

تضـطلع الشخصـية فـي الروايـة بـدور متميّـز و مثيـر، إذ غالبـا مـا يشـوبها غمـوض يجعلهـا مفتاحـا أساسـيا للولـوج إلـى أعمـاق الروايـة لفهـم أبعادهـا و دلالاتهـا

[1] الرواية، ص 45.

[2] الرواية، ص 45.

الرمزيــة، انطلاقــا مــن التغيــرات و التحــولات التــي تطــرأ عليهــا و التــي قــد تســببها تلــك الاضـطرابات و التـوترات النفسـية التـي: << **تغـذيهما دوافـع داخليـة نلمـس أثرهـا فيمـا تمارسـه مـن سـلوك و مـا تقـوم بـه مـن أفعـال، و مـن جانـب آخـر فهـي تعـاني مـن تناقضــات فــي تركيبهــا النفســي تــؤدي بهــا إلــى الاستســلام للنــزوات و الانقيــاد للرغبـات الدفينـة و تجعلهـا نتيجـة لـذلك تفتقـد إلـى التناسـق الضـروري لكـل شخصـية سوية ...>>**[1].

و يبـدو أن "مفتـي بشـير" لـم يخـرج عـن هـذا النطـاق فـي روايتـه "دميـة النـار"، حيـث اعتمـد شخصـية رئيسـية مضـطربة انتقاهـا مـن الواقـع الاجتمـاعي. فسـح لهـا المجـال للتحـول و التغيـر فـي مسـارها علـى أسـاس أن << **قسـطا مهمـا مـن الإنتـاج الروائـي يسـعى إلـى اسـتيحاء مكوناتـه مـن المجتمـع فـي و صـفه عالمـا خارجيـا عـن الـذات، مناهضـا لرغائبهـا و نزواتهـا، و فـي وصـفه أيضـا مجـال صـراع يخـوض الفـرد غمـاره لتحقيـق نـوع مـن التـوازن بـين الغيريـة و الفرديـة** >>[2]. و هـذا مـا لـم يحققـه "رضـا شـاوش" فـي روايـة "دميـة النـار"، حيـث أنـه لـم يصـل إلـى ذلـك التـوازن النفسـي مــع ذاتــه و مــع غيــره مــن الشخصــيات الروائيــة الأخــرى. إذ شــهد تحــولا ســلبيا فـي نفسـيته التـي أثّـرت فـي سـلوكاته و علاقاتـه مـع الآخـرين: << **لـم أعـد أطيـق نفسـي حينهـا، صـرت أنتظـر مـن الفـراغ فراغـات أكثـر، صـرت لا أقـدر علـى التمسـك بـأي شيء، كان وقتي يذهب هباء منثورا و عمري يتقلص في المشي ...>>**[3].

فلـم يعـد "رضـا شـاوش" يقتنـع بالحيـاة البسـيطة التـي يحياهـا كـل أفـراد المجتمـع الجزائـري، بـل كانـت قناعتـه تكمـن فـي التطلـع إلـى الأعلـى للبحـث عـن الطريـق الحقيقـي الـذي يميّـزه و يتفـرد بـه عـن غيـره فعمـد فـي بدايـة طريقـه إلـى الـتخلص مـن

---

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 302.

[2] محمد برادة، الذات في السرد الروائي . دراسة نقدية، دار أزمنة، عمان، ط1، 2010، ص12.

[3] الرواية، ص 48.

الدراسة باعتبارها مسارا طويلا لن يصبر عليه لذلك يودّ لو يقصّر المسافة ليحقق غاياته و رغباته: **<< تركت الدراسة بدوري، و أنا أقول لا ينفع معي التعلم و القراءة، و أنني لن أصلح لهذه الأشياء، و أنه علي أن أفكر في الأشياء التي أصلح لها، و لابد أن في مكتوبي السماوي شيئا أنفع به نفسي والعالم، شيء يقدر على هدايتي للطريق الحقيقي >>**[1].

و أكثر ما أثّر في تحول نفسية "رضا شاوش" إدراك عجزه و استحالة تحقيق هدفه في نيل حب "رانيا" التي صدمته بطلب المساعدة منه في الزواج من شخص آخر. و هذا ما لم يستطيع تحمله و تقبله اطلاقا. فلم يجد إلا أن يبتعد عنها ليدخل في دوامة من العزلة ربما ليعيد بناء نفسيته المحطمة: **<< ... كنت أرفض أن أتصل بأحد، كما لم أنتظر أن يتصل بي أي شخص، عدت للعمل و العزلة [...] و لم يعد يهمني أن أكون وفيا لأي أحد إلا لنفسي ...>>**[2].

وهذا التحول السلبي في شخصية "رضا شاوش" قضى على كل القيم الإنسانية لديه. في حين بقي الشر و الحقد يتربعان على روحه التي تدفعه إلى الانتقام الذي يصاحبه نوع من التوتر و الصراع الداخلي: **<<... و شعرت بأنني أقوم بعمل غير أخلاقي، بأمر يسوء لي كما لها، لقد اختارت الرجل الذي يناسبها فلماذا أريد أن أحرمها من هذه النعمة البسيطة؟ >>**[3]. فعلى الرغم من شعوره بتأنيب الضمير أحيانا إلا أن رغبته الجامحة في إرضاء أنانيته دفعته إلى تنفيذ ذلك الانتقام، باغتصاب "رانيا":

<< ــ لا أريد منك أي شيء.

---

[1] الرواية، ص 47 . 48.

[2] الرواية، ص 95.

[3] الرواية، ص 104.

ـ أتمنى ذلك، و لكنني أخافك، أشعر أنك لا تفهم أي شيء في الحب، و كل ما يهمك هو أن ترضي أنانيتك >>[1].

يتضح من هذا الحوار وعي "رانيا" منذ البداية بخطورة "رضا شاوش" عند تمسكه بالهدف الذي يسعى إلى تحقيقه، و هو ما يفسر نسيانه لحرارة ذلك الحب مباشرة بعد إشباع رغبته بالانتقام منها.

و قد شكل هذا الانتقام نقطة تحول مهمة في شخصية "رضا شاوش"، حين تخلى عن كل ما يقربه من الضعف و يسقطه إلى الأسفل. متطلعا بذلك إلى التفوق و الصعود إلى الأعلى، بميله و تشبثه بالجهة القوية في المجتمع، مصرا على الانتماء إليها بكل ثمن حتى و إن فرض عليه ذلك تحمل بعض الإهانة و الذل: **<< شعرت بثقل المسؤولية حينها و ظهر على وجهي بعض الخوف و أنا أنهض لأصافحه منحني الظهر كما رأيت سعيد بن عزوز يفعل أكثر من مرة، و هو يبدي خضوعا مقززا للغاية >>[2].**

لم يجد "رضا شاوش" صعوبة في التغلغل في عالم الأقوياء الذي لا يحتضن إلا من فقد جزءا من روحه السوية: **<< مع مرور السنوات شعرت أنني تحولت، صرت شخصا آخر يجب أن أؤكد هذه الحقيقة، و أنني في تلك اللحظة الزمنية المدنسة فقدت روحي، نعم روحي ...>>[3].**

و هذا العالم الذي أفقد "رضا شاوش" روحه السوية علّمه طرق امتصاص و اكتساب القوة على حساب الفئة الضعيفة في المجتمع: **<< مثل دراكولا الذي تخلقه حالة انعدام التوازن بين النهار و الليل يخرج ليختار ضحيته كل ليلة**

---

[1] الرواية، ص 101.

[2] الرواية، ص 113.

[3] الرواية، ص 118.

ينقض على الأضعف بالتأكيد، فكلما عمت الكارثة ازداد فرح دراكولا، و كلما زاد الليل من وقته زادت حياته شراهة ...>>[1].

و لكي يحقق انتماءه الفعلي إلى هذا العالم ظل أسيرا لتلبية شروطه التي يفرضها على أمثاله من المتسلقين، طبعا بعد تجريد روحه من كل ما يمكن أن يصحي ضميره: **<<... صرت عاجزا عن التفكير لأنه عندما تفكر و أنت بلا روح لا يمكنك أن تفكر [...] سيتحول الإنسان إلى بشاعة مطلقة، نحو شر مطلق، و خراب مطلق [...] كائن مشوه تصنعه ظروف الفقدان تلك ...>>**[2].

يتحول "رضا شاوش" في ظل ما يقتضيه عالم الأقوياء إلى كائن مجرد من الأحاسيس و المشاعر، ساهم في تشكيله ذلك الرفض الدائم للحياة البسيطة التي يعيشها عامة المجتمع الجزائري، حتى و إن فرض ذلك إزهاق أرواح و حقوق الضعفاء: **<< كانوا يطلبون مني أشياء غريبة و كنت أنفذها، فصرت بعدها واحدا منهم أتنعم بالحياة كما يتنعمون بها >>**[3].

و هكذا يدخل "رضا شاوش" في دوامة من السلوكات و الأعمال التي حولته إلى دمية أفرغ ما فيها من أحاسيس و مشاعر، تسير في دروب الشر لتحرق ما حولها، فهي دمية نارية توجّه لخدمة مسيّريها لتضمن في المقابل وجودها فقط في هذا العالم الذي تريده: **<<... و ذاكرتي تقيأت ماضيها البريئ [...] صرت الشر، صرت الشيطان، و دمية الشيطان، صرت تلك النار اللاهبة المستعيرة، النار الحارقة و المسعورة، صرت مثل دمية النار، تحرق من يمسها >>**[4].

---

[1] الرواية، ص 120.

[2] الرواية، ص 119.

[3] الرواية، ص 120.

[4] الرواية، ص 119.

لـم يكـن وصـول "رضـا شـاوش" إلـى تلـك الدرجـة مـن فقـدان الـروح إلا مـن جـراء تـأثير المـوروث النفسـي الـذي بثـه والـده فـي ذاتـه، و الـذي جعلـه يظهـر بالصـورة التـي يريـدها ذلـك العـالم المتسـلط، و بـذلك كـان شخصـية مهيـأة و قابلـة للاضـطلاع بمهمـة التسـلق و الصـعود نحـو عـالم السـواد و القـوة. عكـس "سـعيد بـن عـزوز" الـذي لـم يـأت مـن المعـدن الـذي يحتـاجون إليـه: << **بينمـا كنـت أتقـدم فـي سـلم الترقـي التـدريجي نحـو الصـعود لقمـة فقـدان الـروح. كـان سـعيد بـن عـزوز يتعثـر بعـض الشـيء أو لا يصعد أبدا** >>[1].

اسـتطاع "رضـا شـاوش" فـي آخـر المطـاف أن يتّخـذ القـرار الحاسـم فـي اختيـار الطريـق الـذي سيسـير عليـه و هـو الطريـق الـذي طالمـا كـان ينتقـده و يعيبـه علـى والـده. لكـن سـرعان مـا اتخـذ بفعـل لا إرادي هـذا الطريـق علـى أنـه المسـلك الصـحيح و السليم الـذي اهتـدى إليـه و اقتنـع بـه: << **ـ لقـد كـان خطـا معوجـا، كنـت أعـيش ضـد قناعـات أبـي و الآن أنـا أعـيش وفـق قناعاتـه، اهتـديت للطريـق الصـحيح هـو هـذا الذي أنا فيه الآن ...**>>[2].

يسـتمر "رضـا شـاوش" فـي السـير فـي عـالم السـواد الـذي يزيـده حقـدا و شراسـة، مبـررا ذلـك بـالأثر الـذي خلّفـه والـده فـي نفسـيته، و كأنـه يبحـث عـن أعـذار تبرئـه مـن تلـك التصـرفات و السـلوكات: << **لقـد تغيـرت و لقـد كـان هـو السـبب لابـد أن أجـد لحياتي بعض مبرراتها و لاشـك أن كـل مـا حـدث لـي كـان لـه جـذور فـي ذلـك الماضي الغائر في العتمة و الظلمة الشديدة ...**>>[3].

لـم يسـتطع "رضـا شـاوش" إيقـاف نـزوع روحـه إلـى الشـر الـذي وجـد مكانـا فـي نفسـيته و مسـاحة لاسـتقبال كـل أنـواع الحقـد و العقـد، فلـم يشـكل الأثـر الـذي خلّفـه

---

[1] الرواية، ص 121.

[2] الرواية، ص 129.

[3] الرواية، ص 157.

والـده إلا جـزءا مـن هـذه العقـد، بحيـث صـار أكثـر شراسـة و تسـلطا مـن أبيـه: **<< صرت واحد من تلك الكلية الغامضة التي تتحكم في مصائر و أقدار الآخرين، صارت لي حياة رجل يمتص دماء الناس، يقتات منهم بلا رحمة، و لم يعد يكفيني ذلك المص اللعين لدمائهم بل صرت أكثر بشاعة من هذا إذ انتقلت لمرتبة أخرى حيث رحت آكل لحومهم >>**[1].

لـذلك لـم تكـن سـلوكاته و النتـائج المترتبـة عنهـا قـادرة علـى زعزعـة أو تحريـك ضـميره، و حتـى مسـألة القتـل لـم تثـر فـي نفسـيته القلـق و الخـوف، حيـث لـم يتـردد فـي تنفيـذها و الخـروج منهـا دون أي اضـطراب أو تـوتر: **<<... و لـم أشـعر بمـا يشـعر بـه القاتـل و هـو يرتكـب جريمتـه الشـنعاء، بـل لـم تـأت هـذه الأوصـاف حينهـا كما لو أنني لم أرتكب أي شيء كما لو أن هذه الجريمة لم تكن جريمة ...>>**[2].

لـم تعـد نظـرة "رضـا شـاوش" إلـى الحيـاة نظـرة متناقضـة مضـطربة بحيـث أصـبح يعيشـها بكـل حريـة، فلـم يحـدث أن شـعر بتأنيـب الضـمير مهمـا كـان نـوع السـلوك الشـنيع الـذي قـام بـه: **<< استفقت علـى حقيقـة أننـي قتلـت ذلـك الشـخص، لكـن دون تأنيب ضمير، لم يحدث ذلك قط ...>>**[3].

و بالتأكيـد فـإن "رضـا شـاوش" لـم يكـن يقـوم بتلـك التصـرفات دون وعـي، إنمـا كـان مـدركا خطـورة كـل خطـوة يقـوم بهـا. و مـدركا للصـورة السـلبية التـي تحـول إليهـا: **<< يجـب أن أعتـرف بـأن حيـاتي تغيـرت جـذريا بعـدها، صـار هنـاك شـخص آخـر يتكلم بدلا عني ...>>**[4].

---

[1] الرواية، ص 126.

[2] الرواية، ص 139.

[3] الرواية، ص 140.

[4] الرواية، ص 144.

و تظهر شخصية "رضا شاوش" في الأخير في شكل دمية نارية التي لا يمكن تجنب شرارتها التي تحرقه و تحرق غيره: << **أخذت الأشياء شكلا يقترب من عالم الصمت و العزلة، شكل من وضع قدميه في النار محترقا بها، فصار هو النار بعينها النار التي يقتات بها و تقتات منه و النار التي بها يعيش ظلماته السوداء دون أن يخشى عتمتها** ...>>[1].

و هكذا سمح "مفتي بشير" في روايته هذه بتحول شخصيته الرئيسية من حالة إلى حالة أخرى أكثر سلبية، بحيث أسندت إليها سلوكات و تصرفات مأخوذة من واقع المجتمع، كاشفا بذلك عن حالة نفسية يتبدى من خلالها البعد النفسي العام للرواية.

<u>المبحث الثاني:</u> الشخصيات المساعدة.

<u>تمهيد:</u>

يحمل كل روائي في أعماله الروائية وجهة نظر يسعى إلى بثها في ذهن القارئ، معتمدا في ذلك على الشخصيات لإزالة الغموض عنها، و طرحها بشكل يثير فضول القارئ و يسهّل طريقة الاستيعاب لديه. و يتحقق ذلك من خلال الأدوار و الوظائف التي ينسبها إلى مختلف الشخصيات التي يدرجها ضمن عمله الروائي.

وعلى هذا الأساس، فمن المستحيل أن يقتصر الروائي على شخصية واحدة في عرض و تقديم أفكاره و آرائه للقارئ، إذ لا يمكن لشخصية واحدة أن تعكس رؤية هذا الروائي. لذلك يستعين بشخصيات عدة في بلورة الحدث والمساعدة في تشكيل الشخصية الناهضة بالبطولة، فتختلف و تتفاوت الشخصيات حسب

[1] الرواية، ص 144 . 145.

كثافة الأدوار و الوظائف المسندة إليها، << **و من ثم يمكن إصدار الأحكام على الشخصية، من حيث قدرتها على الإسهام في الحكاية، ولعب دور مهم في الأحداث .>>**[1].

و هذا ما يفسر توظيف "مفتي بشير" في روايته "دمية النار" عدة شخصيات، متفاوتة فيما بينها من حيث الدور و الحضور. و إذا كانت الشخصية الرئيسية "رضا شاوش" هي أكثر الشخصيات هيمنة و تجسيدا للأحداث على طول النص الروائي، فإن ذلك لم يمنع "مفتي بشير" من توظيف شخصيات مساعدة، تؤدي أدوارا حاسمة في النص الروائي. لكن حضورها و بروزها لم يصل إلى مستوى حضور الشخصية الرئيسية، إذ يمكن للشخصية المساعدة، << **أن تشارك في نمو الحدث القصصي و بلورة معناه و الإسهام في تصوير الحدث. و يلاحظ أن وظيفتها أقل قيمة من وظيفة الشخصية الرئيسية، رغم أنها تقوم بأدوار مصيرية أحيانا في حياة الشخصية الرئيسية >>**[2]. و هذا ما يظهر في التأثير الذي أحدثه كل من "والد رضا شاوش"، "رانيا"، "الرجل السمين"، و " سعيد بن عزوز" في نفسية الشخصية الرئيسية، و في تطور و تأزم أحداث رواية "دمية النار".

1- شخصية "والد رضا شاوش":

أدت هذه الشخصية دورا حاسما في بناء و تشكيل الشخصية الرئيسية، كما كان لها دور فاعل في انطلاق مسار أحداث الرواية، إذ مثلت بذلك أحد الشخصيات المساعدة الهامة، باعتبار أن لها نفس كثافة حضور الشخصية الرئيسية في مرحلة ظهورها، فلم تخل الصفحات الأولى للرواية من حضورها، بحيث منحها الروائي إلى جانب كثافة الحضور، غموضا و لغزية تدفع القارئ إلى الاهتمام بها و التساؤل عن حقيقة خباياها: << **... شعرت بلغزية أبي، فلم أكن**

[1] عبد المنعم زكريا القاضي، البنية السردية في الرواية، ص 73.

[2] شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص 33 ـ 34.

أفهم ذلك، و كان يبدو لي رجلا محكوما بسر، حتى يخيّل إلي أنه رجل يعيش حياتين، سيرتين له عالم آخر في مكان لا نعلم به، عالم يخصه لوحده >> [1].

جعل "مفتي بشير" شخصية "والد رضا شاوش" أكثر الشخصيات المصاحبة و المؤثرة في الشخصية الرئيسية، لدرجة جعلتها تسعى منذ بداية أحداث الرواية إلى إزالة الغموض عنها و الكشف عن أسرارها و خباياها. و هذا ما أدى إلى ظهور تغيّر و تطور في شخصية "والد رضا شاوش". فعلى الرغم من أنها شخصية مساعدة، إلا أنها قريبة من الشخصية الرئيسية في مستوى الحضور في بداية الرواية، و يظهر ذلك في نموها و تطورها حيث **<< لا تبقى على وتيرة واحدة، بل تتحول بصورة مثيرة للدهشة في لحظات سردية متنوعة، و يستمر المؤلف الضمني في تتبعها، ليكشف أستارها المخبأة من حين لآخر >>**[2].

حاول الروائي في رواية "دمية النار" أن يفرغ عدة صفات في شخصية "والد رضا شاوش"، لتكون كفيلة و جاهزة لإثارة مواقف متأزمة، سواء في بنية الشخصية الرئيسية، أو في مسار تطور الأحداث. حيث احتضنت هذه الشخصية صفات اكتسبتها من ذلك العمل الذي أسند إليها، إذ كان "والد رضا شاوش" يعمل مديرا في السجن و جلادا فيه، فمنحه ذلك قوة و هيبة يسلطها على الفئة الضعيفة في المجتمع: **<< كان أبي يعمل في مؤسسة العقاب كما سميتها أنا لاحقا، تيمنا بصديقي كافكا ...>>**[3].

أخذ هذا التسلط و القوة اللذان يظهران في تصرفات و سلوكات "والد رضا شاوش"، يتجسد في عنف أسري، مشكلا اضطرابا و توترا في نفوس

---

[1] الرواية، ص 28.

[2] عبد المنعم زكريا القاضي، البنية السردية في الرواية، ص98.

[3] الرواية، ص 29.

أفراد عائلتة: << **الخوف من الضرب كان أكبر وساوسي، بعد ما رسخت في ذهني صورة ضربه لأمي، ضربه الذي جعلها طريحة الفراش لأسبوع بأكمله** >>[1].

و أكثر ما يبرز ظاهرة العنف لدى شخصية "والد رضا شاوش"، هي تلك القساوة التي يفرضها في معاملاته الصارمة مع الشخصيات الأخرى، خاصة ما يظهر في علاقته مع ابنه "رضا شاوش"، حين سطّر له طريقا يخلو من الشعور بالخوف و الضعف، طريق تؤدي مباشرة إلى القوة و التفوق، رافضا بذلك كل أنواع الخضوع و الإهانة: << **منذ ذلك الوقت شعرت بأنني فقدت احترام أبي لي، فلم يعد يكلمني إلا و هو ينعتني بالجبان [...] لم أفهم كلامه حينها، و إن أدركت أنه كان ينتظر مني أن أكون شجاعا أمام سكان الحي** ...>>[2]. لذلك كان من المعقول أن يرث "رضا شاوش" هذا الجانب السلبي في شخصية والده.

يزداد "والد رضا شاوش" قوة و هيبة كلما شاهد أثر ذلك الخوف في وجوه الناس، بحيث ظل محتفظا بهذه القوة و الهيبة و بذلك الغموض و الصمت اللذين صبغ بهما حياته فجعلها لغزا يصعب حله: << **كان أبي كتوما جدا، و لا يتحدث مع أحد، لا يخالطهم و لا يخالطونه، يتهيبه الجميع و كان يحلو له أن يرى أثر هيبته تلك على الوجوه التي تبتسم له بزيف** ...>>[3].

لكن هذا لم يمنعه من إبداء نوع من الخضوع، فقط للقوى الكبرى التي فرضت نفسها كواقع لابد من الخضوع له دون أي نقاش، و هذا ربما ناتج عن عدم وعيه و جهله لكونه انسانا غير متعلم وغير مهتم بالتعلم الذي قد يؤدي إلى اضطراب حياته التي اقتنع بها كحياة مستقرة لا مثيل لها: << **... لم يكن يظهر ميلا هو**

---

[1] الرواية، ص27.

[2] الرواية، ص33.

[3] الرواية، ص 32.

للتعلم، بل نادرا ما رأيته يقرأ كتابا أو حتى صحيفة، و كان يبدو نافرا من هذه الأمور التي تخص المتعلمين الذين لم يكن يحبهم كثيرا >>[1].

و على الرغم من هذه القوة الظاهرة التي برز بها "والد رضا شاوش" في المجتمع، إلا أنه سرعان ما انتابه ضعف روحي، أفقده شيئا فشيئا ذلك الجانب المهاب و العنيف في شخصيته: **<< لم أعقد صلحا مع أبي حتى جاءه المرض النفسي و صار طيبا، و أليفا و لم يعد يستطيع أن يخيف حتى نملة صغيرة تدب على الأرض >>** [2].

و هذا نتيجة لصحوة ضميره، التي خلقت في نفسيته صفات جديدة بعيدة عن القسوة و العنف اللذين سيطرا عليه مدة طويلة: **<< لم يعد أبي كما كان في البداية عنيفا جدا، صارت له علاقة جميلة بأمي مرتبطة بحنان خاص، يحن عليها، يمازحها أحيانا ...>>**[3].

أنهى "مفتي بشير" دور شخصية "والد رضا شاوش" في الرواية بالوفاة، بعد أن حققت دورا بارزا في المساعدة في بناء الشخصية الرئيسية، حيث خلّفت في نفسية "رضا شاوش" أثرا ظل يدفعه إلى التحول و النمو على طول أحداث الرواية.

2- شخصية "رانيا":

تمثل "رانيا" عنصرا قويا في تشكيل الشخصية الرئيسية، كما كانت في لحظة من اللحظات نقطة انعطاف مسار تطور الأحداث من خلال تأثيرها على الشخصية الرئيسية. و نظرا لحضورها المتذبذب داخل الرواية، صنفت ضمن

[1] الرواية، ص27.

[2] الرواية، ص 42.

[3] الرواية، ص 29.

الشخصيات المساعدة التي لا تتمتع بحضور كثيف بالمقارنة مع الشخصية الرئيسية.

وضع "مفتي بشير" "رانيا" في مقام، سمح لها أن تكون أكثر المؤثرين في شخصية "رضا شاوش"، من خلال الصورة التي منحها لها داخل الرواية، بحيث تتمتع "رانيا" بصفات الجمال الذي كان كفيلا بالسيطرة على مشاعر "رضا شاوش": **<<... و أنا أراقب حركاتها السريعة، كما لو أنها تقفز، وهي تمشي، جمال أنوثتها الهمجي، و الذي كان يجلب لها دائما المعاكسات في الطريق >>**[1].

تعيش "رانيا" حياة مستقرة و متوازنة، سطرت طريقا و راحت تسير عليه بخطوات ثابتة، تثق و تؤمن برغباتها و الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها، متمسكة بالمواقف التي اقتنعت بها. و هذا ما يفسر رفضها المستمر "لرضا شاوش" و إقبالها على إقامة علاقة مع شخص آخر، مقتنعة بمشاعرها و مواقفها و ذلك دون ميل إلى التراجع في أفكارها التي كانت بالنسبة لها واضحة جدا:**<< ـــ أن هناك شخصا يريد الزواج مني، شخصا كنت أحبه منذ كنت مراهقة، إنه حبي الحقيقي [...] و تفهم أننا عندما نحب لا يمكننا أن نعيش من دون حب >>**[2].

لكن ليس من الممكن اتخاذ القرارات و التمسك بها في مجتمع يفقد الفرد حريته و يحرمه من أبسط حقوقه، مجتمع يسيطر فيه القوي على الضعيف، وتسيطر فيه قوة الرجل على ضعف المرأة. و هو ما تجسد في علاقة "رانيا" بأخيها الذي كان يفرض رقابة صارمة على تصرفاتها و سلوكاتها، فكانت بذلك وسيلة لإظهار رجولته، بحيث تتحول "رانيا" إلى رمز للخضوع لتقاليد المجتمع: **<< راح**

[1] الرواية، ص 60.

[2] الرواية، ص 76.

يضربها أمامي ضربا لا يوصف، صفعات وراء صفعات، ركلات وراء ركلات [...] و هي تأخذ نصيبها من الرجولة الملتبسة بالتقاليد و الأكاذيب المزيفة >>[1].

تدفع بذلك "رانيا" ثمن محاولتها التحرر من قيود تقاليد المجتمع و تمسكها بمواقفها الذاتية، إلا أن نقطة ضعفها ظلت واضحة "لرضا شاوش" حين وشى بها لأخيها، ما شكّل بعد ذلك مصدرا للقلق و التوتر في حياتها: **<< ــ أمي تقول إن أخي سيخرج هذا الأسبوع من السجن و أنه حالف بالستين أن يقتلني لأنه سمع أنني أعمل و أدرس خارج البيت >>[2].**

هكذا بدأ الضعف يتسلل إلى روح "رانيا" و هو ما دفعها للبحث عن يد المساعدة، فلجأت مباشرة إلى "رضا شاوش". بالرغم من إدراكها نواياه تجاهها، إلا أنها في جزء من نفسيتها مؤمنة بقدرته على المساعدة، و ربما ما دفعها للإيمان بذلك هو عدم وجود خيار آخر يخرجها من ورطتها: **<< ــ لقد قرر خطبتي لكنه خائف من مواجهة أخي، أرجوك ساعدني، أنت من يستطيع حل المشكلة بالتأكيد. أنت الوحيد >>[3].**

تظل "رانيا" تعاني من قيد أخيها حتى بعد توبته، فلم تسلم من التغيرات التي طرأت عليه، بحيث انعكست هذه التغيرات سلبا على حياتها. فكانت الشروط التي يفرضها خارجة عن قناعتها وبعيدة كل البعد عن المواقف التي تؤمن بها: **<< ــ حاولت أن أتهرب من شرطه هذا لكن ما إن رفعت رأسي نحوه، و أنا أحاول بشجاعة التركيز على عينيه حتى شعرت بخوف يتملكني ...>>[4].**

---

[1] الرواية، ص 45.

[2] الرواية، ص 62.

[3] الرواية، ص 76.

[4] الرواية، ص 92.

لـم تحـظ "رانيـا" بالسـلم الـذي أعلنـه أخوهـا مـع الآخـرين بـل ظـل الجانـب المسـيطر الــذي فرضــته تقاليــد المجتمــع فــي نفســية الرجــل تجــاه المــرأة، يــدفع أخ "رانيــا" إلــى الظهــور بصــورته القديمــة فــي تعاملــه مــع "رانيــا": **<< لا أخفيــك لقــد ازدادت حيرتـي، و قلقـي، و أنـا أسـمعه يعـود لتعنتـه القـديم حتـى لـو كـان هـذه المـرة فـي ثـوب شخص جديد علي ...>>**[1].

و بـذلك اتخـذت "رانيـا" قـرارا بعـدم مواجهـة أخيهـا و التشـابك معـه فـي اخـتلاف وجهـات النظـر بينهمـا فـي الحيـاة، لتتقبـل مـرارة البعـد و الفقـر بـالهروب مـع رجـل و الـزواج منـه، علـى أن تتحمـل سـيطرة الأخ التـي كـان يفرضـها المجتمـع الجزائـري علـى كـل امـرأة: **<<... تسـاءلت مـاذا تفعـل رانيـا هنـا؟ لمـاذا تقبـل بهـذا الضـنك بهـذا العيش السقيم في أقصى درجات الانحطاط و الخوف ...>>**[2].

حاولـت "رانيـا" التمسـك بهـذه الحريـة التـي طالمـا سـعت إليهـا، لكـن القـدر دفعهـا للـدخول إلـى عـالم الانحـراف بعـد تعرضـها للاغتصـاب و انفصـالها عـن زوجهـا، لتجـد نفسـها بعـد إنجـاب ابنهـا تقتـات مـن عمـل يخـدم ذلـك العـالم الـذي احتضـنها، ليسـيّرها و يسـتغلها لخدمـة أغراضـه: **<< ــ إنهـا فتـاة جميلـة بالفعـل و خسـارة أن تتحـول بـين عشية و ضحاها لعاهرة >>**[3].

و هـذه الشخصـية كغيرهـا مـن الشخصـيات المسـاعدة التـي وظفهـا "مفتـي بشـير" فـي روايتـه "دميـة النـار"، قـد ينقطـع حضـورها أحيانـا، لكـن ذلـك لـم يمنـع تطورهـا و نموها و تأثيرها و تأثرها في سير أحداث هذه الرواية.

---

[1] الرواية، ص 93.

[2] الرواية، ص 105.

[3] الرواية، ص 123.

3- شخصية "الرجل السمين":

تظهر هذه الشخصية في الرواية لتواصل و تكمّل بناء و تشكيل الشخصية الرئيسية، حيث اندرجت في الرواية لتؤثر و تساهم في تطور مسار أحداثها.

و بالمقارنة مع الشخصيات المساعدة الأخرى، يأتي ظهور هذه الشخصية في الرواية متأخرا، لكن الدور الذي أسنده "مفتي بشير" إليها جعلها تفرض حضورها في فترة من فترات تأزم أحداث الرواية. إذ تظهر ملامح و صفات هذه الشخصية انطلاقا من علاقتها بالشخصية الرئيسية، و من خلال هذه العلاقة يبدأ حضورها الكثيف في الرواية: **<<... لم أجرأ على سؤاله من هم حتى سمعت أحدهم و كان في عمر والدي لو بقي على قيد الحياة، بوجه مدور و أنف طويل و سمنة عجيبة يسأل سعيد:**

- أليس هذا الذي معك ابن السيد (..)>>[1].

حرص "مفتي بشير" على أن يمنح هذه الشخصية صفات تجعلها غامضة، تثير انتباه القارئ، حيث لم يقدم لها اسما معينا، بل شكلت هيأتها صورة تكشف عن الجانب الشخصي و الذاتي لها، لذلك يطلق عليها "الرجل السمين" لا غير: **<< كنت بحاجة لرؤية ذلك الرجل السمين الذي تحدث معه [يقصد سعيد بن عزوز] في مطعم "باريس الصغيرة" >>**[2].

و هذا الغموض و السرية اللذان يقتضيهما عالم الأقوياء الذي ينتمي إليه "الرجل السمين"، لم يمنعه من أن يبدي بعضا من الود و العاطفة تجاه "رضا شاوش"، الذي كان خادمه المطيع، إذ عمل على بث نوع من النصائح و التوجيهات، يحرص من خلالها على أن يكون "رضا شاوش" خير خلف له: **<< و كان الرجل السمين أكثرهم قربا مني، و كان يظهر نحوي ودا عجيبا. كنت**

---

[1] الرواية، ص 99.

[2] الرواية، ص 112.

أشك فيه غالب الأحيان، فهو من علمني الحيطة من كل ما هو طيب و ودود، و أفهمني أن الأمر معي مختلف قليلا ...>>[1].

كانت القوة التي يتمتع بها "الرجل السمين" هي القوة نفسها التي يعاني من اضطهادها الضعفاء في المجتمع، بحيث لم يكتسب هذه القوة إلا بامتصاص حقوق و انتهاك حرمات أفراد المجتمع الضعيف، لكن هذا لم يقض على روحه و لم يحكم على ضميره بالموت، حيث شهد نوعا من صحوة الضمير: **<<... كان يشعر أنه كبر، و ضميره بدأ يؤنبه على أشياء ارتكبها في زمن سابق >>**[2].

ونظرا لعدم تقبل أي نوع من العواطف المؤدية إلى الندم و تأنيب الضمير في عالم السواد، الذي ينتمي إلية "الرجل السمين"، حدث و أن وجد نفسه في مقام الذين سبق و أن أزهقت أرواحهم. لتنتهي بذلك حياته على يد "رضا شاوش" الذي كان خير خلف لتعليماته و توجيهاته.

4ـ شخصية "سعيد بن عزوز":

يصور "مفتي بشير" شخصية "سعيد بن عزوز" منذ طفولته، حيث حرص على أن تظهر بشكل واضح للقارئ انطلاقا من تأثرها و تأثيرها في الشخصية الرئيسية.

عاش "سعيد بن عزوز" حياة بسيطة و صعبة في طفولته، إذ حرمته حياة الفقر من الطفولة السعيدة. و هذا ما زرع في نفسيته الرغبة في التفوق و التخلص من الضعف: **<<... عرفته في سنوات طفولتي طفلا رث الثياب تعيس الملامح، كان يبدو و كأن السماء غاضبة عليه أو منتقمة منه ...>>**[3].

---

[1] الرواية، ص 120.

[2] الرواية، ص 127.

[3] الرواية، ص 39.

و مـن هنـا تظهـر حياتـه المندفعـة نحـو الازدحـام و التفـوق منـذ طفولتـه، فمكنتـه نظرتـه إلـى الحيـاة بهـذا الشـكل مـن تحقيـق بعـض النجـاح، إذ صـار يعمـل محققـا فـي الشـرطة: **<< وبعد سنوات التقيت بـه و قـد صـار محققـا معروفـا فـي مركـز شـرطة حـي بلـوزداد قـرأت أخبـارا عنـه فـي بعـض الصـفحات المتخصصـة بـالجزائر اليومية ...>>**[1].

عمـد "مفتـي بشـير" إلـى وضـع "سـعيد بـن عـزوز" فـي طريـق الشخصـية الرئيسـية، لتوجيههـا و الكشـف عـن طـرق تحولهـا، مسـاهمة بـذلك فـي إزالـة الملابسـات التـي تطـرأ علـى أحـداث الروايـة، كأنمـا فـي تقربـه مـن "رضـا شـاوش"، وجـد منافسـا يعيـد إليـه الرغبـة فـي التفـوق و الصـعود إلـى الأعلـى: **<< – يبـدو كأنـك أحمـق يـا رضـا، و لا تريـد أن تفهـم مـا يحـدث مـن حواليـك [...] الأمـور تغيـرت، مـاذا تريـد أن تكـون في هذا البلد سيدا أم عبدا؟ >>**[2].

و هـذه الرغبـة فـي التفـوق و الـتخلص مـن الضـعف جـاءت نتيجـة تلـك العقـدة النفسـية التـي عـانى منهـا بسـبب ضـعف والـده و سـقوطه ضـحية فـي يـد الفئـة القويـة فـي المجتمـع: **<<... أشـفق علـى سـعيد بـن عـزوز، لقـد حرمـه والـدي مـن نعـيم والـده [...] وعـاش حياتـه كلهـا و هـو يرعـى كـل ذلـك الألـم السـري بمكـان مـا فـي داخلـه، و كل ذلك الحقد، كل تلك الأحاسيس التي لا يشفى منها الانسان.>>**[3].

رغـم مـا خلّفـه انتحـار والـده فـي نفسـيته مـن حقـد ورغبـة فـي الانتقـام إلا أنـه فـي الأخيـر آمـن و استسـلم لفكـرة مفادهـا أنـه لا تفـوق إلا للفئـة القويـة و المسـيطرة :

---

[1] الرواية، ص 50.

[2] الرواية، ص 100.

[3] الرواية، ص 73.

<<...أنـا أنصـحك أن لا تقتـرب مـن الآن فصـاعدا مـن السـعيد، لا أدري مـا هـي نواياه، و لكنني حذرته و هو فهم الإشارة جيدا >>[1].

ونتيجـة لـذلك حـرص "سـعيد بـن عـزوز" علـى إعـادة النظـر فـي نوايـاه التـي كانـت فـي البدايـة متجهـة نحـو الانتقـام، ليتخـذ بعـد ذلـك مسـارا آخـرا يقـوده إلـى ذلـك العـالم القـائم علـى القـوة و السـوداوية فـي سـيطرته علـى الضـعفاء فـي المجتمـع. مؤمنـا بـذلك أن مـا حـدث لوالـده كـان نتيجـة ضـعفه و سـوء اختيـاره للفئـة المناسـبة التـي يمكنهـا أن تحافظ على حياته و شرفه.

لـذلك كـان حريصـا علـى أن تكـون حياتـه مغـايرة لحيـاة والـده، متيقنـا أن الضـعف هـو المصـدر الفعلـي للخضـوع و الـزوال و أن حمايـة الشـرف و ضـمان الوجـود المتميـز لا يكـون إلا بالانتمـاء إلـى الفئـة القويـة: **<<... فالحيـاة ظالمـة، هـذه هـي طبيعتهـا، لا تأبـه لنبـل النـاس و شـرفهم، و علـو روحهـم ، بـل لقـوتهم أو لمـالهم، و بدون قوة و لا مال نحن مجرد حشرات ...>>[2].**

تحضـر شخصـية "سـعيد بـن عـزوز" فـي الروايـة بشـكل مثيـر للانتبـاه، و ذلـك لمـا تؤديـه مـن أدوار فاعلـة تسـمح بـالولوج إلـى أعمـاق الروايـة للكشـف عـن حقـائق و أسرار ظلت مرتبطة و مؤثرة في الشخصية الرئيسية.

و هكـذا اسـتطاع "مفتـي بشـير" فـي روايتـه "دميـة النـار" مـن خـلال توظيفـه لشخصـيات مسـاعدة لهـا علاقـة وطيـدة بالشخصـية الرئيسـية، أن يقـدم أحـداثا متطـورة و يبني شخصية ناهضة بالبطولة تحمل سيرتها الذاتية للقارئ.

---

[1] الرواية، ص 73.

[2] الرواية، ص 101.

المبحث الثالث: الشخصيات الثانوية و الهامشية.

أ- الشخصيات الثانوية:

يحرص الروائي في تصويره للواقع على أن تكون روايته نابضة بالواقعية، هذه الواقعية التي تتضح ملامحها انطلاقا من الكيفية التي بها يطرح الروائي الأحداث، و ذلك بإسناده للشخصيات أدوارا تقوم بعرض هذه الأحداث و دفعها للنمو و التطور، **<< وهذا ما أعطى الشخصية أحقيتها بل ضرورة تواجدها، و بدونها تصبح حركية الرواية عاملا محددا مستحيلة بل معدومة تماما >>**[1].

و إذا كانت الشخصية الرئيسية هي أكثر ما يعتمد عليها في توجيه الأحداث و نقلها، فإن الروائي لا يقف عندها فقط، بل يسعى إلى التنويع في شخصياته و ذلك بتوظيف شخصيات ثانوية تظهر في الرواية بصورة أقل أهمية من الشخصية الرئيسية. و كأن الروائي في استدعائه لها يجرد الرواية من الخيال و يمنحها أبعادا واقعية تضع القارئ في عالم قريب منه. إذ **<< يعول السرد كثيرا على الشخصيات الثانوية، فهي ذات أهمية قصوى في تشكيل الخطاب الواقعي و هي شخصيات نمطية ذات ثقافة إعلامية إذ تكون الشخصية، دالة على وضعيتها في المجتمع و على دورها فيه >>**[2].

و هذا ما نلمسه في توظيف "مفتي بشير" في رواية "دمية النار" لشخصيات ثانوية، حرص من خلالها على تقريب القارئ من واقعية الأحداث، بأدائها أدوارا تكميلية تعطي وجودا واضحا للشخصية الرئيسية على طول مسار أحداث الرواية، و ذلك عن طريق العلاقات القائمة بينها.

---

[1] ابراهيم عباس، البنية السردية في الرواية المغاربية، المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار، الجزائر، دط ، 2002، ص 150.

[2] محمد الباري، إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2000، ص 28.

فشخصية "رضا شاوش" في رواية "دمية النار" باعتبارها شخصية رئيسية، تتضح ملامحها و أبعادها من خلال علاقاتها بالشخصيات الثانوية، التي على الرغم من محدودية أدوارها و قلة أهميتها بالمقارنة مع هذه الشخصية، إلا أنها تظل عنصرا لا يمكن الاستغناء عنه في طرح أحداث هذه الرواية و بناء شخصيتها الرئيسية. فهي: **<< شخصيات متناثرة في كل رواية، تساعد الشخصية الرئيسية في أداء مهمتها و إبراز الحدث >>**[1].

استعمل "مفتي بشير" في روايته شخصيات ثانوية عدة، و جاء توظيفها حسب ما تقتضيه الفكرة التي تنقلها الشخصية الرئيسية للقارئ، انطلاقا من العلاقات التي تقيمها فيما بينها، حيث نجد شخصية "عمي العربي"، "عدنان"، "أحمد"، "كريم"، ...إلخ لا تخلو من دلالات و أبعاد في النص.

1- شخصية "عمي العربي":

تؤدي هذه الشخصية دورا في هذه الرواية، لكنه دور محدود، حيث لم يطرأ عليها تغيير أو تحول على طول النص. و يظهر "عمي العربي" في الرواية حاملا لماضيه الذي شكل خلاصة حياته، حيث كان يعمل في صيدلية، ثم تركها لظروف معينة ليختار مهنة إصلاح الأحذية: **<< كان في الخامسة و الخمسين، قال أنه اختار مهنة إصلاح الأحذية لأن والده كان يعمل فيها، و لكنه كان قبلها يعمل في صيدلية ...>>**[2].

يتضح دور "عمي العربي" في هذه الرواية من خلال علاقته بالشخصية الرئيسية. إذ يحمل مواقف و مبادئ سامية يسعى إلى زرعها و بثها في نفسية

[1] صبحية عودة زعرب، غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2006، ص 133.

[2] الرواية، ص 34.

"رضا شاوش": **<<... كان يتكلم بصدق حقيقي و بروح إنسانية عالية و بألم كبير >>**[1].

فقد كان "عمي العربي" شخصية متوازنة، لا تحمل أي تناقض في نفسيتها، شديد التمسك بمواقفها و مبادئها. و هو ما جعل "رضا شاوش" يلجأ إليه و يعتبره مرشدا له في المواقف التي يصعب فيها اتخاذ القرارات: **<< كان يتحدث بإطناب، مسترسلا في شرح وجهة نظره التي كان يراها كالحقيقة، لا تحتاج إلى تدليل ...>>**[2].

ينتمي "عمي العربي" إلى الجهة التي تراعي الفئة الضعيفة في المجتمع، المقتنعة بالحياة البسيطة، إذ يسعى "عمي العربي" إلى زرع الوعي بالواقع بين أفراد المجتمع و تطلعهم إلى الفوق بتمسكهم بمواقفهم العادلة التي ربما ستمنح لهم السعادة و الأمان يوما ما في حياتهم: **<<... كان يعتقد أن السعادة تكمن في تلك الأشياء البسيطة التي يحققها الإنسان فوق ظهر الأرض، و أن الحياة جميلة عندما نتعلم منها التواضع و حب الآخرين >>**[3].

يحمل "عمي العربي" مواقف ثابتة و واضحة تجاه القضايا المتعلقة بالإنسان، و هذا لم يمنعه من الهروب من الواقع و الاستسلام للخمر التي شكلت ملجأ لمعظم أفراد المجتمع الجزائري: **<< لقد تناقشت معه دائما و بعناد، و حيوية في جلسات الشرب التي أستمتع بحضورها في بيته ببئر مراد رايس حول القضايا الماورائية >>**[4].

---

[1] الرواية، ص 34.

[2] الرواية، ص 37.

[3] الرواية، ص 139 ـ 140.

[4] الرواية، ص 150.

هـذه الملامـح التـي يظهـر بهـا "عمـي العربـي" فـي الروايـة جعلتـه يقتـرب مـن الشخصـية الرئيسـية و يشـارك فـي بنائهـا، لكـن بأدائـه لـدور محـدود مـن خـلال علاقتـه بهذه الشخصية.

2- شخصية "عدنان":

يظهـر دور "عـدنان" فـي هـذه الروايـة مـن خـلال علاقتـه الحميمـة بالشخصـية الرئيسـية، إذ يعـد الصـديق الوحيـد "لرضـا شـاوش" و الوحيـد الـذي يلجـأ إليـه للإفصـاح عـن أمـوره الشخصـية: **<< كـان عـدنان يسـكن فـي الطـابق السـادس مـن العمـارة، و كان الوحيد الذي أستطيع التكلم معه في أموري الخاصة، ...>>**[1].

كـان "عـدنان" مـن المتـذمرين مـن الواقـع الـذي فـرض عليـه حيـاة تعيسـة، جعلتـه يعـيش حالـة مـن الضـياع فـي عـالم الضـعف الـذي أنهـك قـواه و أتعـب تفكيـره. غيـر أن لـه مواقـف ثابتـة و يصـرح بهـا بكـل وضـوح: **<< كـان صـديقي عـدنان يسـرح بتفكيـره إلـى بعيـد، و هـو يقـول لـي: "نحـن أبنـاء التعاسـة لقـد جئنـا للحيـاة كـي ترفضـنا السماء، و تسحقنا الأرض" >>**[2].

يـرفض "عـدنان" فـي ظـل الواقـع التعـيس أن يكـون تابعـا لأحـد، بـل كـان مؤمنـا بمجهوداتـه الفرديـة فـي تحقيـق أهدافـه، إذ لا ينتظـر المسـاعدة مـن أحـد، إلا مـن تكوينـه العلمـي الـذي حـرص علـى تحقيقـه مسـتقبلا. و مواقفـه الصـارمة هـذه جـاءت نتيجـة الحيـاة الأسـرية التـي يحيـا فيهـا، بحيـث كـان يعـيش فـي بيـت زوجـة أبيـه، و هـو مـا جعلـه يشـعر بغربـة نفسـية عـن بـاقي أفـراد عائلتـه: **<< كـان عـدنان ماركسـيا كمـا يقـول عـن نفسـه، ماركسـي فردانـي، يـؤمن بفرديتـه كثيـرا، و إن كـان يميـل لأفكار الصراع الطبقي يؤمن بأننا مجتمعات بحاجة لفكر مادي جدلي >>**[3].

---

[1] الرواية، ص 45.

[2] الرواية، ص 42.

[3] الرواية، ص 46.

يتضح دور "عدنان" في الرواية من خلال علاقته بالشخصية الرئيسية، رغم اختلاف وجهات نظرهم في الحياة. و حتى بعد تحقيقه لأهدافه المسطرة لم يحاول الالتفات إلى العالم الذي ينتمي إليه "رضا شاوش"، بل بقي متمسكا بمواقفه و صداقته كما هي في البداية.

3- شخصية "أحمد" (أخ رضا شاوش):

يعيش "أحمد" حياة مختلفة عن الحياة التي تحياها الشخصية الرئيسية، و هذا الاختلاف يبرز الحالة النفسية المعقدة "لرضا شاوش". و مع أن "أحمد" هو أخ "رضا شاوش"، و ينتميان لجو أسري واحد إلا أن طريقيهما في الحياة يختلفان.

يحمل "أحمد" عواطف و صفات لم يجدها "رضا شاوش" في والده، و هذا ما جعله يلجأ إليه بكل ثقة و أمان لحل مشاكله: «... **لكن أخي كان فيه لطف و ليونة، كان حنونا إلى حد ما، أكثر حنانا من أبي، لم أكن ألجأ إليه في شيء إلا و ساعدني فيه** ...»[1].

وجد "أحمد" نفسه بعد وفاة والده مجبرا على أخذ منصبه كمدير في السجن، و ذلك فقط لإعانة عائلته. في حين لم يرث الطابع الحاد الذي كان يتميز به والده، و هو ما أثّر في أخيه "رضا شاوش" الذي اعتاد على حياة القوة التي منحتها له سلطة و هيمنة والده في المجتمع: «... **و رغم عمل أخي في الزنزانة إلا أنه لم يكن يملك شخصية والده الحادة، و الثاقبة، و التي كانت تجعل الجميع يهابون منا** ...»[2].

كان "أحمد" الأخ الأكثر قربا و تأثيرا على "رضا شاوش"، فإلى جانب تحمله مسؤولية عائلته، لم يبخل في توجيه و نصح أخيه و منحه فرصا للتخلص من المشاكل: «... **لقد وقف إلى جانبي، و أنا شاب و دافع عني عندما استوجب**

[1] الرواية، ص 84.

[2] الرواية، ص 48.

الأمر دفاعه عني، كان يخوض معارك هامشية لحمايتي، و كان يبدو دائما كمن يضحي بأغلى أيام حياته من أجل حياة العائلة، من أجلي بشكل خاص ...>>[1].

لذلك كان دور "أحمد" مؤثرا في حياة "رضا شاوش"، حيث كان الوحيد الذي حاول توجيهه نحو حياة الاستقرار و الأمان. لكن القدر دفعه إلى غير ذلك، فكان بذلك الشخصية الوحيدة التي تثير الأسى و الحسرة في نفسية "رضا شاوش".

4- شخصية "كريم" (أخ رانيا):

نظرا للعنف الذي سيطر على هذه الشخصية، وجد فيها "رضا شاوش" وسيلة ينتقم من خلالها من "رانيا"، التي كانت تعيش تحت سلطة و سيطرة أخيها "كريم". إذ لم يكن هذا العنف الذي مارسه على "رانيا" في نظره إلا واجبا فرضته تقاليد المجتمع: **<<... رجل لا تعني له العواطف شيئا و المرأة حشرة يسحقها من هم أقوى منها >>**[2].

أما في تعامله مع الآخرين، فكان من الذين يفرضون جبروتهم و قوتهم على الضعفاء، في حين يبدي خضوعا مبالغا فيه للفئة الأكثر قوة و سيطرة في المجتمع: **<<... لكن عندما قابلت أخاها كريم لم أقل له شيء، لقد بقي ينظر إلي بمهابة، كما تصورته تماما، جبانا أمام من يراهم يمثلون سلطة ما، [...] متعنتا عندما يقوى على إيذاء من يراهم أضعف منه ...>>**[3].

و هذا ما كلفه دخول السجن لمدة جعلته يخرج منه بصورة مغايرة و ذلك بتبنيه لمبادئ و أسس دينية جعلت نفسيته أكثر تعصبا. و هذا لم يغير في تعامله مع أخته "رانيا"، حيث ظل يمارس عليها سلطته و يفرض عليها المبادئ التي يؤمن بها: **<< حاولت أن أتهرب من شرطه هذا [...] أخبرته بأنني سأفكر**

---

[1] الرواية، ص 141.

[2] الرواية، ص 80.

[3] الرواية، ص 78 ـ 79.

فـــي الأمـــر فـــرد علـــي بســـرعة: نعـــم فكـــري، و لكـــن هـــذا هـــو شـــرطي الأول و الأخير >>[1].

و هـذا التعصـب الـديني دفـع "كـريم" إلـى الانضـمام إلـى الجماعـة الدينيـة التـي تسـعى إلـى فـرض مبادئهـا علـى أفـراد المجتمـع، لينتهـي دور هـذه الشخصـية في الرواية بأن تلقى حتفها في الجبل.

5- شخصية "أم رضا شاوش":

جسـدت الأم فـي هـذه الروايـة المـرأة الضـعيفة فـي المجتمـع، و تظهـر شخصـيتها الضـعيفة مـن خـلال علاقتهـا بزوجهـا، الـذي كانـت تبـدي لـه خضـوعا و خوفـا باعتبـاره الجانـب المسـيطر فـي العائلـة. و هـذه العلاقـة انعكسـت سـلبا علـى حيـاة ابنهمـا "رضـا شـاوش"، و كانـت أحـد المـؤثرين علـى نفسـيته، علـى أسـاس أن **<< العلاقـة بـين الرجـل و المـرأة تظـل المحـك الجـوهري فـي فهـم طبيعـة شـبكة العلاقـات بـين أفـراد المجتمـع الحـديث، و عبـر تقنيـات كثيـرة، تكـون انعكاسـا لهـذا المجتمـع و لـيس نتيجة لها >>[2].**

و لكـون "أم رضـا شـاوش" امـرأة ريفيـة كـان مـن السـهل أن تفـرض عليهـا قـوانين تسـير عليهـا دون أي اعتـراض أو تـذمر، فكانـت مؤمنـة بقـدرها فـي الحيـاة لـذلك لـم تحـاول التحـرر و الخـروج مـن قيـود تقاليـد المجتمـع المسـيطرة علـى المـرأة: **<<... كـان يشـترط عليهـا أن تأخـذ معهـا ذكـرا مـا مـن أبنائهـا عنـدما تخـرج، كانـت تلك هي القاعدة، فالمرأة لا يصح لها أن تخرج لوحدها >>[3].**

جعلهـا خضـوعها التـام لزوجهـا تتحمـل كـل أشـكال الـذل و المهانـة و حتـى الضـرب، فهـي مـن النـوع الـذي يضـحي دون مقابـل مـن أجـل العائلـة، و فـي ظـل

---

[1] الرواية، ص 92.

[2] مصطفى عبد الغني، قضايا الرواية العربية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1999، ص 61.

[3] الرواية، ص 26.

سلطة زوجها لم تنل أي نوع من الاحترام: << **لم يكن ذلك الضرب بالشكل الذي يمكن تصوره الآن، كان ضربا غريبا يشبه التأديب ...>>**[1].

على الرغم من الحياة الصعبة التي عاشتها "أم رضا شاوش" في ظل زوجها المتسلط، إلا أن وفاته كانت بالنسبة لها فقدانا لذلك السند الذي تتكئ و تستند إليه في الحياة: << **بكت أمي كثيرا يومها، بكت كما لم أرها تبكي في حياتها قط، ...>>**[2].

أثّرت الأم في شخصية "رضا شاوش" من خلال محاولتها زرع العاطفة و الحنان في نفوس أولادها، لينتهي بها المطاف بعد وفاة زوجها بالدخول في عالم التدين و قراءة القرآن الكريم.

6- شخصية "الشيخ أسامة":

رغم محدودية دور هذه الشخصية في الرواية، إلا أنها ساهمت بالتأثير في الحدث، من خلال علاقتها بالشخصيات الثانوية الأخرى.

كان "الشيخ أسامة" من المتدينين الذين يدعون إلى الطريق المستقيم، و كانت طريقته في الحديث و قراءة القرآن و نشره لتعاليم الدين الإسلامي تؤثر في الكثير من النفوس التي تستجيب لأفكاره الدينية. إذ << **تستمد شخصية الشيخ جاذبيتها، على ما يبدو في المتون الروائية، من السلطة الدينية أو الأخلاقية التي تتوفر عليها و ذلك في الغالب بفضل سنها المتقدم و سلوكها المشهود له بالاستقامة [...] و في جميع الحالات فهي سلطة معنوية تؤكد على قوة الشخصية و تجذب إليها الشخصيات الأخرى ...>>**[3].

---

[1] الرواية، ص 67.

[2] الرواية، ص 29.

[3] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 270.

يظهر حضور شخصية "الشيخ أسامة" في الرواية من خلال قوة شخصيتها و المكانة التي تتمتع بها بين الشخصيات المقيمة معها في الزنزانة، حيث كان أكثرهم وعيا بالدين لذلك كان السبب في تدين و تغير طبائع العديد من الأشخاص في تلك الزنزانة: << **كان الشيخ أسامة رجلا في الخمسين [...] يتحدث بلغة عربية عتيقة لم نكن نفهمها كثيرا، لكن عندما يقرأ القرآن كانت قلوبنا تخشع و عيوننا تدمع، ...>>**[1].

كان "للشيخ أسامة" تأثير قوي في النفوس الضعيفة في المجتمع، إذ يتصرف في توجيههم متخذا من الدين وسيلة في ذلك.

7- شخصية "والد سعيد بن عزوز":

يظهر دور هذه الشخصية من خلال تأثيرها في العلاقات التي تربط بين الشخصيات الأخرى، و هذا ما يتضح في تأزم العلاقة بين "رضا شاوش" و "سعيد بن عزوز"، نظرا لما سببه "والد رضا شاوش" عند تعذيبه "لوالد سعيد بن عزوز"، الذي سقط ضحية الأوامر الصارمة و المجحفة التي تصدر من الفئة القوية و المتسلطة في المجتمع: <<- **نعم، لأنه بعد انتحار والد سعيد بن عزوز تبين أنه لم يكن له علاقة بالتهمة التي وجهت له، و أنه أشتبه فيه لا غير ...>>**[2].

إن انتماء "والد سعيد بن عزوز" إلى الفئة الضعيفة في المجتمع، جعلته كغيره من أفراد المجتمع الذين تنهك أرواحهم و تهان كرامتهم و يطعن شرفهم. و هذا ما أثّر في نفسية ابنه "سعيد"، الذي لم ير في والده قدوة له بل حرص على أن تكون حياته مخالفة تماما لحياة والده: <<... **أهين في شرفه و كرامته، لقد آلمي ما**

[1] الرواية، ص 81.

[2] الرواية، ص 73.

حدث له حينها، و لكن بعد مرور السنوات فهمت من خلال حياته أن الضعيف لا يمكنه أن يعيش في هذه البلاد و مصيره دائما كمصير والدي >>[1].

تعد إذن شخصية "والد سعيد بن عزوز" أحد الأوجه التي وظّفت من أجل الكشف عن بعض الحقائق و إزالة الغموض في الرواية، لذلك جاء دورها رغم محدوديته مؤثرا في سير أحداث الرواية.

8- شخصية "الرجل ذو النظارات السوداء":

من خلال التسمية التي أطلقت على هذه الشخصية يتضح لنا الغموض الكبير الذي تتميز به هذه الشخصية و الذي عملت على بعثه داخل النص الروائي.

يمثل "الرجل ذو النظارات السوداء" قمة القوة و السلطة التي طالما سعى "رضا شاوش" للوصول إليها، و تظهر قوته هذه من خلال علاقته "برضا شاوش" الذي يحرص بدوره على إرضائه و تلبية أوامره، بشكل يبقيه بعيدا عن كل خصوصياته. و هذا ما يفسر إطلاق "رضا شاوش" عليه اسم "الرجل ذو النظارات السوداء": **<< ... و رأيتني في حضرة رجل في الخمسين من عمره قليل الشيب، يضع على عينيه نظارات شمسية سوداء >>[2].**

جاءت هذه الشخصية في الرواية لتضمن استمرارية "رضا شاوش" في التوجه نحو ذلك العالم الأسود الذي كان يتحكم فيه "الرجل ذو النظارات السوداء". و هو ما جعل "رضا شاوش" يتمسك بتلك العلاقة التي تربطه به.

9- شخصية "عدنان" (ابن رضا شاوش):

تجسد هذه الشخصية في الرواية الفئة الناقمة على الواقع و المعارضة للقوى المسيطرة و المتحكمة.

---

[1] الرواية، ص 101.

[2] الرواية، ص 132.

سطر "عدنان" لنفسه طريقا مخالفا لطريق والده "رضا شاوش" و أمه "رانيا". إذ كان ينتمي إلى ذلك العالم الرافض للخضوع و الإهانة: **<<... لكن أمي لا تفكر مثلي [...] إنها لا تعرف أنني لم أعد أنتمي إلى عالمها ...>>**[1].

لعبت هذه الشخصية دورا محدودا في هذه الرواية و مع ذلك استطاعت أن تصور و تكشف عن قضية من قضايا المجتمع، فكان مصيرها القتل الذي شكّل نهاية أحداث هذه الرواية.

ب- الشخصيات الهامشية:

إن حرص الروائي على انتقاء الشخصيات الروائية، يظهر من خلال الدلالات الرمزية التي تؤديها هذه الشخصيات. لكن ما يمنح الرواية طابعا واقعيا و يجعل القارئ يتغلغل في أعماقها، و يؤمن و يوهم بواقعيتها، و يتأثر بأحداثها هو ذلك التنوع الذي يمارسه الروائي في شخصياته الروائية و التي تندرج ضمنها الشخصيات الهامشية.

إذ يأتي حضور الشخصيات الهامشية في الرواية بشكل عابر، لا تحمل دورا و لا وظيفة تجعلها تنمو و تتطور طول مسار أحداث الرواية، بحيث تبدو في الرواية و كأنها وظّفت بشكل عفوي، ذلك أن الشخصيات الأخرى هي التي فرضتها لتستند إليها في أداء أدوارها و وظائفها في النص الروائي. و هذا ما نلمسه في رواية "مفتي بشير" "دمية النار" الذي أدرج فيها شخصيات هامشية مكمّلة لأدوار الشخصيات الأخرى.

[1] الرواية، ص 164.

1- شخصية سعيدة:

جارة "رضا شاوش"، أرملة مجاهد، تعمل خياطة لإعانة أولادها السبعة: **<<"سعيدة" التي كانت تعمل خياطة في بيتها، معتمدة على نفسها في تربية أولادها السبعة ...>>[1].**

2- شخصية "معلمة العربية":

معلمة "رضا شاوش"، طردت من طرف المدير الذي حاول التحرش بها، بعد أن هددته بتبليغ الشرطة عنه: **<<... تركت المدرسة منتشية و هي تقول: لا أستطيع العيش مع هؤلاء الكلاب >>[2].**

3- شخصية "الخطيب":

يخطب في الجماعة المعارضة التي انضم إليها "رضا شاوش" مؤقتا، تعرض للتعذيب على يد "والد رضا شاوش"، لكنه ظل نموذجا للمقاومة: **<<... صموده هو رأس ماله الحقيقي، و إنه الآن في قلب المعركة >>[3]**

4- شخصية "عمي السعيد":

صاحب المكتبة التي كان يعمل فيها "رضا شاوش": **<<... كان عمي السعيد يترك لي مفاتيح الدكانة الصغيرة لأجهز كل شيء قبل حضوره ...>>[4].**

5- شخصية "طارق كادري":

صاحب المؤسسة التي كان يعمل فيها "رضا شاوش" محاسبا: **<<- لقد سمعت أنك تعمل محاسبا في مؤسسة طارق كادري ...>>[5].**

---

[1] الرواية، ص 26.

[2] الرواية، ص 31.

[3] الرواية، ص 38.

[4] الرواية، ص 43.

[5] الرواية، ص 51.

6- شخصية "مراد":

سائق سيارة الشرطة: **<< قدمني للشرطي الذي يقود السيارة و أخبرني أن اسمه مراد >>**[1].

7- شخصية "رفيق":

احدى الشخصيات التي تعرّف عليها "رضا شاوش" في الجماعة المعارضة: **<<... لم تربطني به علاقة قوية، و في فترة لم تكن تعني لي الكثير ...>>**[2].

8- شخصية "علام محمد":

زوج "رانيا" و منافس "رضا شاوش" في حب "رانيا": **<<- لقد وجدنا مكان إقامتها، تسكن في حي قصديري مع شخص اسمه علام محمد >>**[3].

على الرغم من أن هذه الشخصيات تطل في الرواية بشكل عابر و هامشي، إلا أنها لا تخلو أي رواية من الاستعانة بها، باعتبارها تؤدي إلى إبراز ملامح الشخصيات المساهمة في بناء الحدث في الرواية.

فالشخصيات الثانوية إذن باستنادها إلى الشخصيات الهامشية تفرض ضرورة و جودها في النص، و ذلك بمصاحبة الشخصية الرئيسية في بناء الأحداث و نقلها للقارئ.

---

[1] الرواية، ص 52.

[2] الرواية، ص 67.

[3] الرواية، ص 104.

الفصل الثاني: علاقة الشخصيات بالواقع السياسي.

المبحث الأول: الشخصيات الخاضعة للواقع السياسي السائد.

تمهيد

1- شخصية "الرجل السمين".

2- شخصية " الرجل ذو النظارات السوداء".

3- شخصية "والد رضا شاوش".

4- شخصية "سعيد بن عزوز".

المبحث الثاني: الشخصيات المعارضة للواقع السياسي السائد.

تمهيد

1- شخصية " عمي العربي".

2- شخصية " عدنان".

3- شخصية "والد سعيد بن عزوز".

4- شخصية "الخطيب".

5- شخصية "رفيق".

6- شخصية "عدنان" (ابن رضا شاوش)

المبحث الثالث: الشخصيات المتقلبة في ظل الواقع السياسي السائد.

تمهيد

1- شخصية "رضا شاوش".

2- شخصية "رانيا مسعودي".

3- شخصية " الشيخ أسامة".

4- شخصية "كريم".

المبحث الأول: الشخصيات الخاضعة للواقع السياسي السائد.

تمهيد:

يطرح الوضع السياسي السائد في البلاد واقعا اجتماعيا، خاضعا لطبيعة الحكم السائد و السلطة الحاكمة. هذه السلطة التي برزت على الواجهة بفضل وجوه أبت إلا أن تكون محركها في الخفاء و دافعها إلى أفق الفساد، عند الضرورة التي تقتضي ضمان مصالحها الشخصية و الذاتية. فالفساد السياسي **<< الذي ظهرت فيه كل سمات الانحراف السياسي من حيث التحايل على القانون، و انتهاز الفرص، و استخدام صلات القربى و النسب، و استغلال النفوذ و ما إلى ذلك >>**[1]، تمارسه أغلب الشخصيات السياسية التي استطاعت أن تضرب في أعماق العديد من البلدان و تنال من أمنها و استقرارها.

و كثيرا ما يؤدي سوء تسيير شؤون البلاد إلى طغيان ظاهرة الانحراف نحو الفساد عند الفئة المتحكمة في زمام الأمور، مفرزة بذلك سياسة فاسدة تدور **<< حول سوء استخدام السلطة أو النفوذ العام بهدف الانحراف عن غايته، و ذلك لتحقيق المصالح الخاصة أو الذاتية، بطريقة غير شرعية، و دون وجه حق >>**[2].

شكلت التحولات و الأزمات السياسية واقعا زاخرا بأحداث مثيرة جعلت الأديب ينهل منها مواضيع حاملة لمواقف و آراء يطرحها في أعماله الأدبية، إذ **<< صارت**

---

[1] مصطفى عبد الغني، قضايا الرواية العربية، ص 126.

[2] المرجع نفسه، ص 113.

عين الأديب عدسة كاميرا لاقطة لكل شاردة و واردة، و أصبح قلمه إزميل نحت يخلد كل فاجعة ...>>[1].

و تعد الرواية أكثر الأجناس الأدبية تصويرا و نقلا للواقع و تجسيدا لأحداثه و تحولاته، و التي تسمح بمعالجة أهم القضايا، سياسية كانت أم اجتماعية، و ذلك باتخاذ العمل الروائي **<< من الواقع مسرحا لأحداثه من خلال علاقة تفاعل بين الشخصية و الحدث و الواقع >>[2]**. و قد شكّل الواقع السياسي أهم القضايا التي حظيت باهتمام الروائيين الجزائريين المعاصرين، ساعين في ذلك إلى رفع الستار عن خبايا و أسرار السلطة الفاسدة، المتحكمة في سيرورة الواقع المعاش. و هذا ما يفسر تسابق الروائيين إلى تقديم أدق صورة للفساد السياسي في أعمالهم الروائية.

و أمام هذه الوقائع السوداوية، التي شكّلت نكسة في التاريخ الجزائري، من جراء ما أفرزته السلطة الفاسدة التي حرصت على أن لا يسلم منها و من بطشها أي فرد من المجتمع الجزائري، وجد الروائي الجزائري اليوم نفسه بعد أن حظي أخيرا ببعض من الحرية، ملزما بالعودة لرصد ذلك الفساد السياسي الذي شهدته الجزائر مباشرة بعد الاستقلال و الذي عمل على **<< احتكار السلطة و اغتصاب حقوق المواطنين و السيطرة عليهم و اضطهاد القوى السياسية و الاجتماعية المعارضة، خاصة المطالبة منها بالحرية >>[3]**.

---

[1] جعفر يايوش، الأدب الجزائري الجديد ــ التجربة و المآل، المركز الوطني للبحث في الإنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية، الجزائر، دط، 2007، ص 222.

[2] السعيد الورقي، اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، مصر، دط، 1998، ص 75 .

[3] رزان محمود ابراهيم، خطاب النهضة و التقدم في الرواية العربية المعاصرة، دار الشروق للنشر و التوزيع، الأردن، ط1، 2003، ص 88.

و قد برز "مفتي بشير"من خلال روايته "دمية النار" ضمن الروائيين الذين سعوا إلى رصد و نقل التاريخ الجزائري السياسي بعد الاستقلال. حيث صوّرت هذه الرواية جل التحولات و التغيرات التي عرفتها الجزائر في فتراتها المتأزمة، مجسدا بذلك أسرار الممارسات السياسية و طبيعة نظام الحكم السائد في صورة واضحة و شاملة، منحها الروائي القدرة على التأثير في القارئ لسهولة استيعابها و إدراكه لها، **<< ذلك أن بشير مفتي ينتمي إلى جيل حصد عواقب الثورة المغدورة و المتمثلة في اندلاع العنف و صعود الأصولية و وصاية العسكر >>**[1]. لذلك حرص على أن يقف عند كل مرحلة من المراحل التي شهدت تحولا في النظام السياسي الجزائري و طبيعة الممارسة السياسية السائدة، مستعينا في ذلك بعدة شخصيات متفاعلة، تجسد الواقع من خلال السلوكات و التصرفات التي منحها لها الروائي، كاشفة بذلك عن موقف الفرد الجزائري تجاه السلطة بعد الاستقلال وصولا إلى انقلابات الثمانينات و التسعينيات.

وضع "مفتي بشير" "الرجل السمين"، و "الرجل ذو النظارات السوداء" و "والد رضا شاوش" في موضع الشخصيات المنتمية إلى جيل الثورة، و التي سعت إلى تسيير شؤون البلاد و التحكم في نظام الحكم منساقة في ذلك إلى رغبتها في تحقيق مصالحها الشخصية. لذلك دفعها مساندتها للنظام السياسي إلى الخضوع التام للقوى الأكبر منها: **<<...و صرت قريبا جدا من تلك الجماعة القوية الضاغطة، كانوا في الحقيقة عشرة أشخاص لا غير، تحتهم العشرات، تحت العشرات المئات، تحت المئات الآلاف، كان ترتيبهم ترتيبا منسجما...>>**[2]. في حين كان خضوع الجيل الجديد للسلطة السياسية غايته نيل مكانة بين الوجوه

---

[1] محمد برادة، الذات في السرد الروائي، ص 105.

[2] الرواية، ص 145.

القويــة، للــتخلص مــن الضــعف و الاســتغلال و القهــر، و هــو مــا جســدته شخصــية "سـعيد بـن عـزوز". فتوظيـف "مفتـي بشـير" لهـذه الشخصـية و حرصـه علـى انتقائهـا مـن الواقع، ضمن له سهولة تقريب و إيصال وجهة نظره للقارئ.

1- شخصية "الرجل السمين":

حـرص "مفتـي بشـير" فـي بنـاء هـذه الشخصـية، علـى أن يعكـس الوجـوه السياسـية التـي سـيطرت علـى السـلطة فـي الـبلاد، و التـي جعلـت احتكارهـا للسـلطة يمتـد مـن الاسـتقلال وصـولا إلـى أحـداث أكتـوبر 1988، و هـي الأحـداث التـي اسـتطاعت أن تسـقط الأقنعـة عـن بعـض الوجـوه السياسـية التـي سـاهمت فـي زرع الفسـاد فـي السـلطة. انطلاقـا مـن أن **<<نـص الروايـة يظـل تجسـيدا لأفعـال و علاقـات و قـيم اجتماعيـة و تاريخية محددة >>**[1].

و باعتبـار أن شخصـية "الرجـل السـمين" تنتمـي إلـى جيـل الثـورة، الـذي رفـض بعـد الاسـتقلال التخلـي عـن تسـيير شـؤون الـبلاد، مؤمنـا بأحقيتـه بالسـلطة و تفـرده بهـا، كـان مـن الطبيعـي أن تسـاند هـذه الشخصـية، السياسـة السـائدة التـي أبقـت بـدورها علـى مكانتهـا فـي الجهـة القويـة فـي الـبلاد، و هـو مـا جعلهـا فـي الواقـع خاضـعة فـي نفـس الوقـت للقـوى الأكبـر منهـا: **<<... رجـال الثـورة تحولـوا بقـدرة قـادر إلـى رجـال الثـروة لاحقـا، و قسـموا البلـد لقسـمين، قسـم نـافع يعيشـون فيـه، و يتبختـرون فـي نعيمـه، و قسم فاسد تركوه ينتحر في فوضى أزماته اليومية ...>>**[2].

يعكـس الاسـم الـذي أطلقـه "مفتـي بشـير" علـى هـذه الشخصـية (الرجـل السـمين)، ذلـك الغمـوض و اللـبس الـذي تتخـبط فيـه السياسـة الجزائريـة فـي تلـك الفتـرة، كمـا

---

[1] سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي ـ النص و السياق، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء المغرب، ط2، 2001، ص 140 .

[2] الرواية، ص 98.

يعكس رجال الخفاء الذين ظلوا مختفين عن الواجهة، رافضين المواجهة التي قد تبرز جانبا من شخصياتهم، و انطلاقا من هذه التسمية، تتبادر إلى أذهاننا هيأة رجال السياسة و ضخامة ثرواتهم، إذ تزداد ضخامتهم و رفاهة حياتهم بامتصاص حقوق و ثروات الضعفاء من المجتمع، ليبقى سوء تسيير البلاد مفاده تلك السرية التامة في ممارستهم للحكم و «... **إنهم من صنف يصعب حتى التكهن بما يفعلون في الواقع [...] يشعرون بفكرة كونهم أسيادا حقيقيين و كل شيء يسير بأيديهم، و لا شيء يغرب عنهم ...** »[1].

يملك "الرجل السمين" القدرة على تمييز و انتقاء النفوس المتعطشة للقوة و النفوذ، و هي الوجوه التي يسمح لها بالاندماج في عالم الأقوياء مقابل الخضوع للنظام السائد و التفاني في خدمته. و هو ما يظهر في قوله "لرضا شاوش" الذي كان أحد هذه الوجوه المنتقاة لخدمة النظام: «... **والدك كان مخلصا لنا و لهذا أنا أعرف من أي معدن جئت** »[2].

و هذا ما ساهم في انقسام المجتمع الجزائري، إلى الفئة القوية و الفئة الضعيفة، اللتان يحكمهما نوع من الخضوع، بحيث أصبح كل فرد في المجتمع الجزائري خاضعا للقوى الأكبر منه، فحتى "الرجل السمين" لم يجد إلا أن يكون خاضعا لقوى سرية غامضة تسيّر و توجه أمثاله من الوجوه السياسية في الجزائر: «... **كانت تجهل بالتأكيد أن هناك قوى غامضة تتلاعب بمصيرها، قوى حقيقية تعيش في الظلام و هي من يقرر من يعيش و من سيموت، و من سيصعد و من**

---

[1] الرواية، ص 99.

[2] الرواية، ص 121.

سينزل و من سيبقى في مكانه ثابتا لا يتحرك، و من عليه أن يتزحزح للوراء >>[1].

و أكثر ما ساعد "الرجل السمين" في الحفاظ على مكانته في البلاد هي تلك السرية التي ينتهجها في إنجاز مخططاته التي كلّف بها، لذلك كان حريصا و يقظا في تعامله مع الجيل الجديد الذي جندوه لخدمتهم و تنفيذ أوامرهم فقط، دون أي نقاش أو نبش في مصدر تلك الأوامر، حتى جعلوه يؤمن بأنه مجرد خادم مأمور لا يحق له التدخل في الشؤون العليا للبلاد: <<... **إذ فهمت حرصهم على التكتم، و عدم رغبتهم في فتح ملفات الماضي الخاص بهم، و كل ما قمت به بعدها تنفيذ ما يطلب مني فعله ...>>[2].**

يمثل "الرجل السمين" واحدا من قمم الجهاز، الذين تأسسوا في البداية في الظل لحماية البلاد و تسييرها من خلف ستار، لكن في الواقع سارت الأمور عكس ذلك، حيث حظيت مصالحهم الشخصية بالأولوية على حساب مصالح البلاد، و ذلك بمساندتهم و خضوعهم للقوى الغامضة التي استهدفت مصالح البلاد و القضاء عليها: <<**لقد حاربنا في البداية المعارضين العملاء للإمبريالية، و لكننا أصبحنا العملاء، نحن من يخدم مصالحهم، و نسيّرها لهم، و نأخذ بعض الفتات ..>>[3].**

وصلت درجة حماية المصالح الشخصية لدى رجال السياسة أمثال "الرجل السمين"، حد قتل و اغتيال المعارضين و إظهارهم للعيان على أنهم

---

[1] الرواية، ص 95.

[2] الرواية، ص 114.

[3] الرواية، ص 127.

يشكلون خطرا على أمن البلد، و هم في ذلك يضللون الشعب البسيط ليقنعوه بخدمتهم للبلد و تفانيهم في حماية مصالحه: ‹‹... **تصور لقد صفينا رجالا ظننا أنهم خطر على أمن البلاد، لكننا بداخلنا كنا نعرف أنهم ليسوا خطرا بالمعنى الكبير إلا على مصالحنا نحن** ››[1].

يستمر "مفتي بشير" من خلال شخصية "الرجل السمين" في الكشف و الإفصاح عن خبايا و أسرار السياسة، مبرزا بذلك قمة الفساد الذي وصلت إليه السلطة في فترة الثمانينات، و هي الفترة التي شهدت تحولات و تغيرات بعد أن سبقتها موجة من الاغتيالات و تصفية الحسابات فيما بين السياسيين. فكان "الرجل السمين" أحد السياسيين الذين أحسوا بخطورة صحوة الضمير لدى "والد رضا شاوش" الذي حاول الابتعاد عن النظام و نيل الحرية، حتى و إن كان ثمن ذلك ادعاء الجنون، ليكون مصدر قلق بالنسبة "للرجل السمين" الذي قام بتصفيته لضمان حماية مصالحه الخاصة بطريقة لا تثير أي شكوك: ‹‹... **والدك لم ينتحر، أنا من دفعه من الطابق العلوي لينفجر على الأرض** ...››[2].

أدى اليأس و الإحباط الذي أفرزه الفساد السياسي في الجزائر إلى ظهور تحول في نفوس أفراد المجتمع الذي نهض لتحقيق الحرية و الانفتاح في فترة الثمانينات، فكان "الرجل السمين" أحد السياسيين الذين صحت ضمائرهم و حاولوا الانخراط مع أفراد المجتمع الغاضب و الذي أحدث ثورة ضد الفساد السياسي. و نظرا لكون ذلك غير مسموح به في نظام السلطة، فقد كان "الرجل السمين" مستهدفا من طرف النظام الذي قام بتصفيته عن طريق خادمه المطيع

---

[1] الرواية، ص 128.

[2] الرواية، ص 138.

"رضا شاوش": << **... كان يشعر أنه كبر، و ضميره بدأ يؤنبه على أشياء ارتكبها في زمن سابق، لكن بما أنه كان واحدا من قمم الجهاز فلم يكن يسمح حتى أن يخاطب نفسه بهذه الأمور** >>[1].

ساعدت شخصية "الرجل السمين" على بناء صورة حية تنبض بالواقعية، حرص من خلالها "مفتي بشير" على أن يدركها القارئ و يستوعبها و يتأثر بها. و ذلك حين وظّف شخصية "الرجل السمين" التي عايشت مختلف الأحداث و التحولات التي شهدتها السلطة السياسية في الجزائر بعد الاستقلال، لذلك كان من الطبيعي أن يتخذها الروائي وسيلة للكشف عن وجهة نظره تجاه الفساد السياسي الذي شهدته الجزائر في فترة من فتراتها المتأزمة.

2- شخصية "الرجل ذو النظارات السوداء":

وظّف "مفتي بشير" شخصية "الرجل ذو النظارات السوداء" لتقريب القارئ من صورة رجال السياسة، التي من خلالها يمكن التغلغل في عالم السياسة و الكشف عن درجة القوة و الحكم و الفساد لدى كل سياسي في البلاد، ذلك أن << **فساد الشخصيات و تشوه المواقف ليس غير انعكاس للفساد أو التسيب في الواقع السياسي و الاجتماعي** >>[2]. إذ يحتل "الرجل ذو النظارات السوداء" أعلى قمم الجهاز في السلطة السياسية الجزائرية في تلك الفترة المتأزمة.

تلخّص شخصية "الرجل ذو النظارات السوداء" كل السياسيين الذين شكلوا جهازا يدفع السلطة السياسية نحو الفساد. و هي شخصية سياسية سعت لاحتكار السلطة لوحدها و النيل من مصالح البلاد و ثرواتها التي حرصوا على توزيعها فيما

---

[1] الرواية، ص 127.

[2] مصطفى عبد الغني، قضايا الرواية العربية، ص 127.

بينهم دون أن يستفيد منها غيرهم، ليزدادوا قوة و ثراء و بطشا و يزداد الشعب بؤسا و ضعفا، خاصة كلما حاول النهوض و المطالبة بحقه في البلاد: «... **و أحيانا يتبجحون بسب و شتم على هؤلاء الكلاب التي لا تشبع، و تريد أن تقاسمهم الريوع و الممتلكات، متهامسين بكيد، و مستصغرين كل من يناصبهم العداء أو يثور في وجوههم**، ...»[1].

حرص "مفتي بشير" في بناء شخصياته على أن تؤدي دورا واقعيا، و هو ما يفسر إطلاقه تسمية "الرجل ذو النظارات السوداء" على هذه الشخصية، و هي تسمية تكشف عن الهيئة الغامضة و السرية لرجال السياسة في الواقع، الذين يمثلون جهازا يصعب الوصول إليه و الكشف عن تسميته و أسراره و خباياه: «... **لم يكن له حتى تسمية يمكن أن تؤكد وجوده، و للحظات ظننت أنني أتخيل فقط** ...»[2].

و أمام هذا الغموض و السرية التي حرص "الرجل ذو النظارات السوداء" على زرعها داخل الجهاز، كان لابد له من أن يستغل أمثال "رضا شاوش" يوظفهم لخدمة مصالحه و تنفيذ أوامره، ليبقى هو خلف الستار بعيدا عن كل الشبهات، مستخدما طرقا لمعرفة و تمييز الوجوه التي تبدي ولاء و خضوعا. فكان "رضا شاوش" أحد الوجوه التي منحها "الرجل ذو النظارات السوداء" مكانة و ترقية في هذا الجهاز: « –**هذا الخاتم هو الذي سيجعل الآخرين يعرفون مقامك بيننا** »[3].

---

[1] الرواية، ص 146.

[2] الرواية، ص 133.

[3] الرواية، ص 133.

ينتمي "الرجل ذو النظارات السوداء" إلى الجماعة السرية التي تسيّر البلاد في الخفاء، و هي التي تلعب كل أوراقها بسرعة من أجل الحفاظ على مكانتها و تسابق أعضاؤها أمثال "الرجل ذو النظارات السوداء"، لنيل المزيد من الثروة و القوة: **<<... و رغم أنهم كانوا يتقاسمون فيما بينهم كل شيء إلا أنه لم يكن تنقص واحدا منهم الرغبة في الاستحواذ على أكثر مما لدى زميله في الجهاز ...>>**[1].

حرص "الرجل ذو النظارات السوداء" كغيره من رجال السياسة الذين استمروا بالتمسك بزمام الأمور في السلطة و الذين أبوا أن يتخلوا عن الخضوع للقوى الخفية التي دفعت الجزائر نحو السوداوية، على القضاء على كل محاولة جادة للنهوض و بعث الثورة في صفوف الشعب الغاضب ضد الفساد السياسي، لتبدأ تلك التصفيات و الاغتيالات للشخصيات السياسية التي صحت ضمائرها في الجهاز، فكان "الرجل السمين" أحد هذه الشخصيات التي تمت تصفيتها بسرعة من طرف "الرجل ذو النظارات السوداء" قبل أن يقوم بأي عمل قد يشكل خطرا على الجهاز: **<<... كانوا يطلبون قتل واحد منهم، شخص كان من بين جماعتهم تلك، ...>>**[2].

ساهمت شخصية "الرجل ذو النظارات السوداء" في كشف و تصوير جماعة الخفاء التي سيّرت البلاد بعد الاستقلال، و لكونها تنتمي إلى جيل الثورة لم تحظ بتكوين علمي، لكن هذا لم يمنعها من أن تملك عند المواقف الجادة، بعض الحنكة و الحكمة و الذكاء في إخماد تلك الثورة التي حاول بعض الشباب المثقف، و بعض الشباب المتدين بعثها في المجتمع في فترة الثمانينات: **<<... استغلوا كل الفرص التي أنشأتها تلك الحرب، الناس تتقاتل، و هم يحصدون الملايين**

---

[1] الرواية، ص 116.

[2] الرواية، ص 135.

و يدفعون الأمور للتعفن أكثر، ثم طويت صفحة العشر سنوات بسرعة، و ساد الصمت، و عادت الحياة إلى مجراها الطبيعي ...>>[1].

حاول "مفتي بشير" من خلال استمرار هذه الشخصية في الرواية أن يقدم وجهة نظره للقارئ تجاه أحداث الثمانينات، التي كانت بالنسبة له ثروة فاشلة، زادت فقط من قوة و سيطرة رجال السياسة أمثال "الرجل ذو النظارات السوداء".

3- شخصية "والد رضا شاوش":

يدرج "مفتي بشير" هذه الشخصية ضمن الشخصيات التي تمثل جيل الثورة، الخاضع للقوى الكبرى و المؤمن بالزعامة في الحكم و الانفراد بالسلطة، و هو ما شهدته الجزائر بعد الاستقلال، حيث كان موقف "والد رضا شاوش" محددا في تفانيه و خدمته للسلطة، و هو كغيره من أفراد المجتمع الجزائري الذين منحت لهم السلطة مكانة و فرصا لكسب القوة و التسلط على الآخرين. و هنا يظهر ذلك **<< التحول في القيم، يحملها جيل الثورة، حيث تحول من عامل نبيل، يناضل من أجل قضايا نبيلة ضد الظلم، إلى فاعل ينتج الفساد و الظلم معا >>[2].**

أدت الظروف الاجتماعية المزرية، التي ولّدتها طبيعة الحكم في الجزائر، بالفرد إلى ضرورة الاختيار بين الفئتين، القوية أو الضعيفة، اللتين شكلتا المجتمع الجزائري في تلك الفترة، و هذا ما حاول "مفتي بشير" تجسيده من خلال توظيف شخصية "والد رضا شاوش" في روايته، و التي تمثل تلك الشخصية التي **<< تعيش قلقا دائما مع ذاتها و مع محيطها. و هي تبعا لذلك تعيش في بنية تقوم على**

---

[1] الرواية، ص 148.

[2] الشريف حبيلة، الرواية و العنف، ص 168.

أساس اجتماعي تتجلى فيه تراتبية اجتماعية و أخلاقية، إن لها موقعا اجتماعيا محددا، ووفق هذا الموقع تتبنى هذا الموقف أو ذاك >>[1].

كما تبدو شخصية "والد رضا شاوش"، شخصية لم تحظ بتكوين علمي باعتبارها تنتمي إلى جيل الثورة، فكانت بذلك نافرة من التعليم الذي ترى فيه خطورة على مصالح النظام. على أساس أن الفئة المثقفة في البلاد هي أكثر الفئات وعيا و إدراكا لظلم السلطة و معارضة لها، و على العكس من ذلك كان "والد رضا شاوش" بقلة وعيه و جهله، شخصية وفية و مساندة للنظام السائد الذي ترى فيه أمن و استقرار البلاد: **<<... كان يبدو نافرا من هذه الأمور التي تخص المتعلمين الذين لم يكن يحبهم كثيرا، و سمعته مرات عديدة يقول إنهم سبب خراب البلد و أحيانا ينعتهم بأقذر الأوصاف [...] حين أسمعه يطلقها منددا بأعداء النظام الجديد >>[2].**

لم يتوان "والد رضا شاوش" عن تنفيذ أوامر النظام، الذي منحه و ضمن له مكانة مرموقة بين أفراد المجتمع: **<< ترقى أبي في عهد الرئيس بومدين إلى مدير سجن، و كان ذلك كافيا ليجعله يشعر أنه صار رقما مهما هو الآخر في نظام الرئيس، نظام محكم الإغلاق، مفتوح على شرفة للحلم، و شرفة للهاوية ..>>[3].**

يصور "مفتي بشير"، من خلال شخصية "والد رضا شاوش"، خضوع رجال السياسة للسلطة الحاكمة، تيمنا بالزعيم الذي تفرد بالحكم و تسيير شؤون البلاد في تلك الفترة التي كان فيها الشعب الجزائري متعطشا للحرية: **<< كان أبي يحب**

---

[1] سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، ص 141.

[2] الرواية، ص 27.

[3] الرواية، ص 32.

خطب الرئيس بومدين (ذلك العسكري الذي أراد تغيير وجهة الجزائر و حلم ببلاد أكبر من حجمها الحقيقي) >>[1].

عرفت السياسة الجزائرية منذ الاستقلال غموضا في تسيير شؤونها، و الذي و لّدته تلك الوجوه السياسية التي يشوبها نوع من السرية التامة، هذه السرية التي اعتمدوا عليها في بناء السلطة. و هذا ما حاول "مفتي بشير" تصويره من خلال توظيف شخصية "والد رضا شاوش"، التي جاءت في الرواية شخصية كتومة و غامضة: **<< كان أبي كتوما جدا، و لا يتحدث مع أحد و مهنته جعلته بعيدا عن الناس، لا يخالطهم و لا يخالطونه. يتهيبه الجميع >>[2].**

أفرزت التحولات التي شهدتها السياسة في الجزائر، نوعا من القلق و التوتر في نفوس أفراد المجتمع الجزائري، و حتى الوجوه السياسية القوية لم تسلم من هذا الاضطراب، و هي في ذلك لا تختلف عن النفوس الضعيفة في المجتمع. و قد كان "والد رضا شاوش" من بين هذه الشخصيات التي دخلت في حالة نفسية مضطربة، بعد وفاة أو الإطاحة بذلك الزعيم الذي كان سندا لها في فرض قوتها و تسلطها داخل المجتمع: **<< دخل أبي حالته النفسية تلك عندما سمع بمرض الزعيم [...] و في اليوم الذي أخبرون فيه بموته، دخل أبي حالة من الصمت تبعتها حالة من الهذيان، تبعتها حالة العودة إلى الطفولة البريئة ثم صار شخصا آخر ...>>[3].**

---

[1] الرواية، ص 31.

[2] الرواية، ص 32.

[3] الرواية، ص 47.

شكّلت الأعمال التي اقترفها "والد رضا شاوش" في ماضيه، من تعذيب لأشخاص أمثال "والد سعيد بن عزوز"، و ذلك خدمة و تلبية لأوامر النظام بأي ثمن، نوعا من تأنيب الضمير الذي دفعه في الأخير إلى الابتعاد عن السلطة وممارساتها الظالمة في حق الشعب، و للحفاظ على حياته لم يجد إلا أن يدعي الجنون، لأن الابتعاد بهذه الطريقة عن السياسة لم يكن مسموحا به في النظام: **<<... كيف يقبل شخص أن يعيش مجنونا على أن يكون معنا، و كان الجواب الوحيد الذي خطر ببالي بعدها هو الحرية، كان والدك يريد أن يكون حرا حتى و لو كان ثمن الحرية ادعاء الجنون ...>>**[1].

جسد "مفتي بشير" من خلال هذه الشخصية، الفئة الخاضعة للسلطة السياسية و زعيمها في الجزائر بعد الاستقلال.

4- شخصية "سعيد بن عزوز":

أدى القهر و الظلم الذي مارسه النظام السياسي على الفئة الضعيفة في المجتمع، إلى خلق نوع من اليأس و الإحباط في نفوس الأفراد الذين حاولوا الإفلات من هذا الواقع المظلم بالانضمام إلى الجهة القوية التي تضمن مصالحهم و تحفظ كرامتهم في الحياة. و هذا ما ولّد في نفسية "سعيد بن عزوز" طموحا دفعه للسعي وراء القوة خدمة للنظام السياسي الفاسد في البلاد، خاصة بعد إدراكه أن الخضوع للنظام هو الوسيلة الوحيدة لتصنيفه ضمن الفئة القوية في المجتمع، و معارضة النظام لا يضمن إلا عيشة الضعف و الذل في المجتمع، و **<< ما يلاحظ على الفساد السياسي هنا أن كل فرد يسعى إلى الخلاص الفردي لا يهم**

[1] الرواية، ص 138.

المجتمع بقدر ما تهم المصلحة الفردية، و بهذا ... فإن أهم قيم المجتمع في السعي، و العمل الدؤوب تنتهي إزاء ما يحدث >>[1].

زرعت الظروف الاجتماعية المزرية التي ولدتها الظروف السياسية، قناعة لدى "سعيد بن عزوز" باستمرارية الصعود و التسلق في عالم القوة. على الرغم من إدراكه لذلك الفساد الذي تمارسه السلطة، إلا أنه حرص على تبني أفكار تلك الجماعة و الظهور بصورة خاضعة لهم: **<<... إن من يريد أن ينجح في هذا البلد لابد أن يتحلى بالقدرة على أن يكون له وجهان، وجه للآخرين و وجه لنفسه و أن لا يبالي بأي شيء إلا بما ينفع نفسه، ...>>**[2].

يبدو أن معرفة "سعيد بن عزوز" للظلم الذي تعرض له والده، جعلته يدرك الجهة المعارضة التي لم و لن تضمن لصاحبها الأمن و القوة و المكانة التي يستحقها، لذلك سار ضد التيار الذي انجرف فيه والده إلى الهلاك: **<<... و لكن بعد مرور السنوات فهمت من خلال حياته أن الضعيف لا يمكنه أن يعيش في هذه البلاد و مصيره هو دائما كمصير والدي، ...>>**[3].

يجسد "سعيد بن عزوز" في هذه الرواية، الجيل الجديد الذي يحسب له ألف حساب من قبل رجال السياسة قبل الانضمام إلى الجهاز الذي يسيّر الشؤون السياسية في البلد: **<<... الرجل الكهل و السمين كان يرفض أن يسمع مني كلمة واحدة عنه [يقصد سعيد بن عزوز]، بل كان أحيانا يغضب عندما ألح من جانبي على أنه شخص وفيّ للجهاز، فيرمقني بنظرته [...] يتبعها بالقول:**

---

[1] مصطفى عبد الغني، قضايا لرواية العربية، ص 129.

[2] الرواية، ص 96.

[3] الرواية، ص 101.

ـ و من أدراك؟ مسألة الوفاء و الإخلاص نحن من يقررها >>[1].

لم ينل "سعيد بن عزوز" المكانة التي سعى إليها في الجهاز، حتى مع نهاية أحداث الثمانينات، ظل في مكانه مصرا على الصعود و التشبث بالقوى الكبرى التي تسيّره، مبديا خضوعا تاما لها و إن كلّفه ذلك تحمل بعض الإهانة و الذل الذي كان يتخبط فيه معظم أفراد المجتمع الجزائري: **<<... كان صبورا جدا معي، مثابرا مخلصا على إرضائي، متزلفا عنيدا من التقرب مني، و كان يقبل حتى أن أبصق في وجهه إن ثرت أو غضبت منه [...] كان دميتي هو الآخر مثلما كنت دمية الآخرين، ... >>[2].**

قضت السياسة الفاسدة في الجزائر على تلك الأخلاق الإنسانية، إذ أصبح الفرد الجزائري لا يحقق الحياة الكريمة إلا بالانخراط و الاندماج في الأعمال الفاسدة التي تنتهجها السلطة لخدمة مصالحها الشخصية، إذ كان "سعيد بن عزوز" من الذين منحت لهم الفرصة، بعد حرب الثمانينات، لاستغلال مناصبهم للإطاحة بالذين يشكلون خطرا على مصالحهم الشخصية: **<<... و صار له دور آخر في فترة ما بعد تلك السنوات المظلمة من القتل و الخوف، إن قوته الآن تكمن في شراء ذمم الذين بقوا أحياء سياسيين و معارضين و مثقفين و غيرهم ...>>[3].**

حاول "مفتي بشير" من خلال توظيف هذه الشخصية، تصوير الجيل الجديد الساعي نحو القوة و التسلط من خلال الخضوع للقوى الأكبر منه، و ذلك هروبا من الاستغلال و الضعف الذي يتخبط فيه المجتمع الجزائري. فهذه الشخصيات

---

[1] الرواية، ص 121.

[2] الرواية، ص 148.

[3] الرواية، ص 153 ـ 154.

إذن، لم تكن مساندة للنظام السياسي الجزائري الفاسد، بقدر ما كانت خاضعة له، و هو ما أراد "مفتي بشير" من خلال روايته "دمية النار" تصويره و تقريبه للقارئ .

المبحث الثاني: الشخصيات المعارضة للواقع السياسي السائد.

تمهيد:

يساير الفرد واقعه الذي تشكله أحداث أفرزتها السلطة و حرصت على أن تجعلها حتمية لابد للفرد أن يحيا فيها، لكن حين يطغى الاستغلال و الاضطهاد على الواقع، مستهدفا بذلك بشكل خاص الفرد و المجتمع، يؤدي إلى وعي الفرد و إدراكه للتشوه الذي أحدثته السلطة السياسية الفاسدة في الواقع، و قد ينهض لمحاولة إلغاء هذه الحتمية و المطالبة بتغيير الأوضاع، و ذلك بالرفض أو المعارضة التي تمثل الوسيلة الوحيدة لديه للتنديد بالواقع المزري.

تشكل المواجهة بين الوضع السائد في البلاد و الفئة المعارضة لهذا الوضع، واقعا مضطربا سعت الرواية إلى رصده و تقديمه للقارئ بصورة تكشف عن أسرار و خبايا هذه المواجهة. **<< لذلك تكون الرواية شاهدا على عنف السلطة، تؤرخ له في مرحلة عنيفة بامتياز، وصفت حكامها، مشيرة إلى قمع السلطة، و أزمة الحرية حين كشفت سياسات سلطة فاسدة، تنهج سلوكا سياسيا منحرفا، تفتقر للقيم الانسانية >>**[1]. و إصرار هذه السلطة على ممارستها الفاسدة للسياسة، دفع الفرد إلى تبني العنف و الصراع وسيلة للخلاص من الاضطهاد و القهر و الفساد.

[1] الشريف حبيلة، الرواية و العنف، ص 198.

تتخذ الرواية الجزائرية، كغيرها من الروايات العربية من الواقع السياسي مادة تستلهم منها مواضيع تعمل على بثها في ذهن القارئ. و نظرا للتحولات و الانقلابات التي شهدتها السلطة السياسية في الجزائر، حرصت الرواية الجزائرية في مضامينها على تأريخها، لتكون بذلك << **جزءا من الواقع السياسي الجزائري، لأنها انخرطت فيه و حاولت الإسهام في إثرائه بطروحات السياسة، التي هي جزء من الطرح السياسي الوطني الذي يطرحه المثقفون** >>[1]. و على غرار هؤلاء الروائيين، يقف "مفتي بشير" كاشفا في روايته عن أسرار السياسة و طبيعة الصراع و المواجهة بين السلطة السياسية و الفئة المعارضة.

يتغلغل "مفتي بشير" في روايته "دمية النار" في أعماق التحولات و الانقلابات السياسية و التي شهدتها الجزائر في فترة ما بعد الاستقلال، كاشفا بذلك عن طبيعة الصراع القائم بين السلطة السياسية، كطرف مسيطر، و الفئة المثقفة الواعية بالواقع كطرف معارض و رافض للخضوع للحكم السائد، ذلك أن << **الكتابة الروائية الجديدة للراهن الجزائري تجسد الصراع ما بين الواقع بكل سوداويته و هاجس الضمير الخلقي**>>[2]. الذي كثيرا ما دفع الفرد إلى تغيير وجهة نظره للحياة، مندفعا نحو الرفض و المعارضة لذلك الواقع الحتمي، الذي فرضته طبيعة الحكم و ممارسة السياسة.

اعتمد "مفتي بشير" في روايته "دمية النار" على بعض الشخصيات، التي ألبسها طابعا جعلها رافضة للخضوع و المعارضة للواقع السوداوي الذي أفرزته طبيعة السلطة و ممارسة السياسة في البلاد و هو ما أدى إلى تصاعد العنف

---

[1] علال سنقوقة، المتخيل و السلطة ــ في علاقة الرواية الجزائري بالسلطة السياسية، رابطة كتاب الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2000، ص 289.

[2] جعفر يايوش، الأدب الجزائري الجديد، ص 223.

في المجتمع الرافض للاستغلال، الذي يتجسد << **في الجزائر المستقلة بوصفه قضية أساسية، و يترتب عنها هاجس رئيسي هو الهاجس الذي يحرك الشخصية نحو الخروج من دائرة الاستغلال** >>[1].

حاول "مفتي بشير"، من خلال توظيفه للشخصيات المعارضة، إيهام و تقريب القارئ من واقعية الأحداث لإزالة الغموض الذي يشوب الواقع السياسي الذي عاشته الجزائر في فترة من فتراتها المتأزمة، مستندا في ذلك إلى الشخصيات أمثال : "عمي العربي"، "عدنان"، "والد سعيد بن عزوز"، "الخطيب"، "رفيق" و "عدنان" (ابن رضا شاوش).

1- شخصية "عمي العربي":

تؤدي هذه الشخصية في الرواية دور الفرد الجزائري المدرك و الواعي بحقيقة الأوضاع السائدة في البلاد، ذلك أنه عايش الفترات المتأزمة التي عانت منها الجزائر، ابتداء من الثورة إلى ما بعد الاستقلال حيث كان "عمي العربي" أكثر الشخصيات و عيا باستمرارية الفساد في البلاد بين أبنائها في ظل غياب العدو: << **... ليس هناك أسوء من البياعين، لقد عانينا منهم زمن الثورة، و الآن يجب أن نقول لأنفسنا الحقيقة، لم تتغير أمورنا نحو الأحسن** ..>>[2].

ينتقد "عمي العربي" نظام الحكم السائد مباشرة بعد الاستقلال، هذا الحكم الذي أفقد الفرد الجزائري حريته و حرية التصرف في ممتلكاته. فكان "عمي العربي" أحد الأفراد الذين مست ممتلكاتهم بحكم تأميم الممتلكات الذي قام به الزعيم في تلك

---

[1] مخلوف عامر، الرواية و التحولات في الجزائر، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2000، ص 34.

[2] الرواية، ص 33.

الفتـرة: << "**لقـد أممهـا الـزعيم، بطبيعـة الحـال مـن أجـل اشـتراكيته الوهميـة**" >>[1].
و هـذا مـا دفـع "عمـي العربـي" للانخـراط ضـمن الفئـة المعارضـة للحكـم السياسـي السـائد و رفضه للواقع الذي فرضته السياسية الجزائرية.

يحمـل "عمـي العربـي" وجهـة نظـر واضـحة تجـاه الواقـع السياسـي، و التـي يطرحهـا بشـكل مباشـر و صـريح، متبنيـا فـي ذلـك فكـرة المعارضـة و رفـض نظـام الحكـم السـائد، و حرصـه علـى فضـح خبايـاه و مـا يترتـب عنـه مـن فسـاد المجتمـع و تشـويه الواقـع، و الـذي جعلـه الـزعيم فـي فتـرة السـبعينات حتميـة مطلقـة لابـد للفـرد الجزائـري أن يخضـع لهـا دون أي معارضـة أو محاولـة للتغييـر: <<... **أكـره انفراديتـه فـي الحكـم هـذا السـرطان الغريـب الجـاثم علـى صـدورنا مـن قـرون، و يبـدو أن الديكتاتور لم يتعلم الدرس، و لكن المستقبل سيكشف زيفه حتما** ..>>[2].

و بقـدر مـا كانـت طبيعـة الحكـم المنتهجـة فـي فتـرة السـبعينات مقيّـدة للفـرد و مضـطهدة لحقوقـه، بقـدر مـا شـكلت أهـم الأسـباب التـي دفعـت الفـرد إلـى النهـوض و المطالبـة بالحريـة و التعدديـة و تغييـر نظـام الحكـم، ليصـل بـذلك إلـى مسـتوى مـن الـوعي جعلـه يـدرك مصـدر فسـاد الواقـع، و هـذا الـوعي هـو الـذي جسـدته شخصـية "عمـي العربـي" فـي هـذه الروايـة: << ... **يـتكلم عـن الـزعيم بطريقـة فيهـا النقـد الـلاذع، و السخرية الحقودة:**

"**بومـدين هـو قمـة الغـرور الـذي تصـنعه عظمـة القـوة لتكسّـر عظمـة الشـعوب**" >>[3].
و مثـل هـذه التصـريحات لـم يكـن يسـمح بهـا فـي فتـرة السـبعينات، التـي كـان فيهـا الفـرد

---

[1] الرواية، ص 34.

[2] الرواية، ص 41.

[3] الرواية، ص 37.

يـدفع ثمـن كـل كلمـة تخـالف طبيعـة النظـام السياسـي السـائد، ليكـون مصـير "عمـي العربـي" الاعتقـال و السـجن، شـأنه فـي ذلـك شـأن كـل الـواعين و المتمسـكين بمـواقفهم و رأيهـم كحقيقـة مطلقـة لا يشـوبها أي شـك أو غمـوض: **<< كـان يتحـدث بإطنـاب مسترسـلا فـي شـرح وجهـة نظـره التـي كـان يراهـا كالحقيقـة لا تحتـاج إلى تدليل، يكفي أن الزعيم أدخله السجن فقط لأنه اعترض عليه، ...>>**[1].

يملـك "عمـي العربـي" وعيـا سياسـيا تجـاه السـلطة الحاكمـة مـدركا لمـا تفـرزه مـن فسـاد فـي المجتمـع، لـذلك سـعى إلـى زرع هـذا الـوعي و بثـه فـي ذهـن الجيـل الجديـد المثقـف الـذي يـرى فيـه الأمـل فـي تغييـر الـبلاد، و هـذا مـا يفسـر دفعـه "رضـا شـاوش" للانضـمام إلـى جماعتـه التـي تنشـط فـي الخفـاء لتغييـر أوضـاع الـبلاد: **<<... لـم تكـن إلا مجموعـة مـن الشـباب الـذين يدرسـون فـي الجامعـة، طـلاب حقـوق، و فلسـفة، و لغـة فرنسـية [...] يعلمونـك الحـذر و عـدم الثقـة بـأي أحـد و الحلـم بـالتغيير الممكن ..>>**[2].

يصـور "مفتـي بشـير" مـن خـلال شخصـية "عمـي العربـي"، الفئـة المعارضـة التـي تحمـل مبـادئ مخالفـة و مناقضـة لمبـادئ السياسـيين المسـيّرين للـبلاد. حيـث لـم يقتصـر هـدف المعارضـين علـى تحقيـق مصـالحهم الشخصـية بـل سـعوا إلـى تغييـر الأوضـاع فـي الـبلاد نحـو الأفضـل. و هـو مـا يفسـر عـدم تغييـر أو تخلـي "عمـي العربـي" عـن وجهـة نظـره التـي ظـل يطرحهـا، علـى الـرغم مـن بعـض التغييـر الـذي شـهدته الـبلاد و اسـترجاعه لممتلكاتـه بعـد سـقوط و نهايـة عهـد الـزعيم فـي الحكـم، إلا أن وعيـه بحقيقـة الأوضـاع فـي الـبلاد جعلـه يـدرك أن هـذا التغييـر الـذي

---

[1] الرواية، ص 37.

[2] الرواية، ص 37.

شـهدته الجزائـر لـم يكـن إلا تغييـرا مـن سـيّء إلـى أسـوأ: «... **مـا يهلكنـا اليـوم هـو الصـمت، النفـاق ، الكـذب، [...] لـن يقـدر النـاس علـى التحمـل [...] سـننفجر فـي يـوم مـن الأيـام، أنـا أحـس بهـذا. لنقـل مجـرد شـعور فقـط، غريـب ربمـا، و لكـن الناس ستنفجر** ..»[1].

علـى الـرغم مـن فـرض النظـام السياسـي السـائد فـي الـبلاد علـى الفـرد الجزائـري خضـوعا تامـا و حرصـه علـى تضـليل الشـعب لخدمـة مصـالحه الخاصـة، إلا أن المجتمـع الجزائـري لـم يخـل مـن الأفـراد الـذين خرجـوا مـن دائـرة الخضـوع و مسـاندة الفسـاد السياسـي، خاصـة مـنهم المثقفـين الـذين شـكلوا الفئـة المعارضـة و الرافضـة للفسـاد السياسـي النـاجم عـن سـوء تسـيير الـبلاد. و هـو مـا مثلتـه شخصـية "عمي العربي" في هذه الرواية.

2– شخصية "عدنان":

تجسـد شخصـية "عـدنان" فـي الروايـة، الجيـل الجديـد المثقـف، الـذي وجـد نفسـه فـي هـذه الفتـرة مرميـا فـي واقـع حكمـت عليـه السـلطة الفاسـدة بالسـوداوية، و حرصـت علـى أن يسـود و يتغلغـل فـي نفـوس كـل أفـراد المجتمـع الجزائـري الـذي لـم يتحمـل بـدوره ثقل هذا الظلم و الفساد الذي طال أمده في البلاد.

اعتمـد "مفتـي بشـير" علـى شخصـية "عـدنان" كشخصـية واقعيـة معارضـة، أفرزهـا ذلـك الظلـم و الفسـاد الـذي فرضـته طبيعـة الحكـم فـي الـبلاد، لينفجـر كغيـره مـن المثقفـين، رافضـا و معارضـا للأوضـاع السـائدة و مطالبـا بـالتغيير، ليكـون بـذلك مناقضـا للشخصـيات السياسـية المسـاندة لنظـام الحكـم، إذ «**يمثـل نقيضـا لهـا علـى**

[1] الرواية، ص 88.

المستويات السياسية و الثقافية و الاقتصادية، تقوم بوظيفة المعارضة السياسية تنطلق من خلفيات ثقافية و سياسية مختلفة عن الأولى >>[1].

سمحت الثقافة التي اكتسبها "عدنان" من تكوينه العلمي، و مواقفه الجادة و الصريحة، على أن يعي المصير الذي سيحّل بالبلد، في حالة استمرار السلطة الحاكمة في السيطرة و تسيير شؤون البلاد، إذ يملك قناعة مطلقة بحدوث التغيير في البلاد، مؤمنا بوجود الفرد الرافض و المعارض لهذه الأوضاع: <<... **كيف يلعبون بمصير الشعب بهذا الشكل؟ [...] "شعبنا لن يسكت و سترى أن التغيير الحقيقي سيحدث، ثورة الشباب ليست إلا البداية"** >>[2].

حاول "مفتي بشير" في روايته هذه رصد المواجهة القائمة بين السلطة و الفئة المعارضة في فترة الثمانينات، و هي الفترة التي حاول فيها الفرد اتخاذ مواقفه بحرية و طرحها بشكل صريح، و ذلك بتبنيه فكرة المعارضة و الرفض للوضع. و هو ما يفسر توظيفه شخصية "عدنان" الناقمة على الواقع و الحالمة بالتغيير في هذه الفترة، و باعتبار أن السلطة حريصة على القمع، و القضاء على كل أشكال الرفض و المعارضة، كان لابد للفرد الجزائري اللجوء إلى طرق تضمن استمرارية المعارضة و تسمح له بطرح مواقفه و أفكاره بجدية و حرية مطلقة لتحدث صدى في ذهن الفرد الجزائري لذلك تبنى "عدنان" أفكارا و مواقف ذهب إلى الخارج للدفاع عنها: <<... **كنت أقرأ ما كان يكتبه في جرائد عالمية عن وضعية**

---

[1] علال سنقوقة، المتخيل و السلطة، ص 216.

[2] الرواية، ص 147.

البلاد، لقد بقي صوته ينتقد بكل جرأة و مادامت فيه قطرة حياة كان لابد أن يبلغ ما يريد تبليغه للجميع ..>>[1].

يظل "عدنان" بكل جرأته، حريصا على مواجهة و معارضة السلطة، مستغلا في ذلك حريته خارج الوطن لنشر و بعث أفكاره و مواقفه المنددة بالفساد و سوء تسيير البلاد، و ذلك لتوعية الفرد الجزائري و دفعه إلى النهوض للتغيير و التحرر من السلطة.

3- شخصية "والد سعيد بن عزوز":

يستمر "مفتي بشير" في التغلغل في أعماق الواقع السياسي موظفا شخصية "والد سعيد بن عزوز" لتكشف عن جوانب فساد السياسة في الجزائر في الفترة التي تلت الاستقلال، و هي الفترة التي فرضت فيها الفئة القوية سيطرتها و تسلطها على البلاد حريصة على إدراج أي نوع من المعارضة ضمن الفئة الضعيفة في المجتمع. و هو ما كان عليه "والد سعيد بن عزوز" الذي ناضل و حلم بحرية الفرد الجزائري أثناء الاستعمار، و ظل محتفظا بهذا الموقف بعد الاستقلال، حيث شهدت الجزائر وجوها سيطرت على الحكم و انفردت بتسيير شؤون البلاد، محققة ذلك بممارستها كل أنواع العنف و القمع ضد الفئة المعارضة، و هذا ما جعل الفرد الجزائري المعارض مثل "والد سعيد بن عزوز" على يقين بأن **<< من يقهر الناس، و يقهر إنسانيته بالإخضاع و الإذلال ليس بمقدوره بناء دولة >>**[2].

تكشف شخصية "والد سعيد بن عزوز" مصير المعارض للنظام السياسي في البلاد، إذ على الرغم من انتمائه لجيل الثورة الذي ناضل و سعى لتحرير

---

[1] الرواية، ص 153.

[2] الشريف حبيلة، الرواية و العنف، ص 198.

الـبلاد، إلا أن موقفـه المعـارض للسـلطة السياسـية، صـنفه ضـمن الفئـة التـي تشـكل خطـرا علـى أمـن و اسـتقرار الـبلاد، لتدينـه السـلطة السياسـية و تعذبـه بأسـلوبها الـذي يـؤدي عـادة إلـى الطعـن فـي الشـرف و إنسـانية الفـرد: «... **لـم يهـتم بـأي شـيء إلا باسـتقلال الـبلاد و تحـرر الشـعب، و بـدل أن يختـار جبهـة الأقويـاء اختـار أن يعـارض بعـد الاسـتقلال [...] لكـن النتيجـة كمـا تعرفهـا سـجن و تعـذب مـن طـرف والدك، أهين في شرفه و كرامته** »[1].

يصـعب علـى الفـرد الاسـتمرار فـي المعارضـة، خاصـة فـي ظـل السـلطة السياسـية الفاسـدة، التـي تنـتهج كـل السـبل للإطاحـة بـأي محاولـة قـد تحـدث خلـلا فـي النظـام حتـى و إن كـان ذلـك بتلفيـق الـتهم للشخصـيات التـي يشـك فيهـا. إذ كـان "والـد سـعيد بـن عـزوز"، أحـد الشخصـيات المعارضـة التـي سـقطت ضـحية الفسـاد السياسـي، الـذي يعمـل جاهـدا للقضـاء علـى أي مخالفـة أو معارضـة أو رفـض للنظـام السياسـي السـائد: «– **نعـم ، لأنـه بعـد انتحـار والـد سـعيد بـن عـزوز تبـين أنـه لـم تكـن لـه علاقـة بالتهمة التي وجهت له و أنه أشتبه فيه لا غير ...**»[2].

صـورت هـذه الشخصـية القهـر الـذي مارسـته السـلطة السياسـية علـى الفئـة المعارضـة فـي المجتمـع، مسـتهدفة بـذلك روحهـا و نفسـيتها سـاعية إلـى دفعهـا نحـو الهـلاك الـذي استسـلم لـه "والـد سـعيد بـن عـزوز" و فضّـله علـى الخضـوع أو مسـاندة القوة المسيطرة على البلاد.

---

[1] الرواية، ص 101.

[2] الرواية، ص 73.

4- شخصية "الخطيب":

تضطلع هذه الشخصية في الرواية بدور الخطيب الذي كلف بتجنيد الشباب المثقف و المعارض للواقع و توعيته و دفعه للنضال من أجل تحقيق التغيير و نيل الحرية في البلاد. إذ يحتل منصب الخطيب في الجماعة السرية لكونه يملك قوة و قدرة على إقناع الفرد و التأثير فيه من خلال كلماته التي تحدث صدى في ذهن الفرد و تدفعه للمعارضة و الرفض و التخلي عن الركود، و تعلمه سبل الصمود من أجل تحقيق الغاية المنشودة، و هي الحرية و تغيير الأوضاع السائدة في البلاد. و مثل هذه الجماعات لم تنشأ إلا تحت ضغط الفساد السياسي الذي طغى على البلاد، و ما العنف إلا وسيلة اتخذتها هذه الجماعة للخلاص من هذا الفساد الذي بلغ ذروته في مختلف المجالات و الميادين في الجزائر، فيكون الفساد السياسي: **<< هو دائما النهر الكبير، الذي يرفد التيار العريض للمجتمع، اجتماعيا أو ثقافيا، [...] يكون مسؤولا عن الروافد و المسارب و التيارات الكثيرة، التي صنعها إبان جريانه >>**[1].

جعل إيمان هذه الشخصية بصدق ما كانت تدافع عنه تتحلى بالصمود، ساعية في ذلك لضمان استمرارية الدفاع عن القضية التي شغلت الفئة المعارضة من المجتمع، إذ تعد بذلك إحدى الشخصيات التي رصدتها السلطة السياسية لإزاحتها عن طريقها و ذلك بالسجن و التعذيب: **<<... عذبه والدي أكثر من مرة، و نجا من الموت بأعجوبة، و أن جسده منتهك و محروق، و إنه صمد، هذا هو ملخص قصته، صموده هو رأس ماله الحقيقي و إنه الآن في قلب المعركة >>**[2].

---

[1] مصطفى عبد الغني، قضايا الرواية العربية، ص 128.

[2] الرواية، ص 38.

تنتهج شخصية "الخطيب" السرية التامة عند النقاشات و الاجتماعات التي تحدث في الجماعة و تحركاتها، و هي الطريقة المثلى التي يعتمدها الفرد الجزائري المعارض لضمان أمنه و استمراره في مواجهة السلطة السياسية الفاسدة: **<<... كان يخطب لساعة أو ساعتين، يقرأ التقارير و يوزع المهام، و يطلب من كل واحد أن يحتاط من الناس الذين يتكلم معهم، ليعرض علينا بعدها فنيات و تقنيات الصمود إن وقعنا في يد البوليس >>**[1].

تصور شخصية "الخطيب" في الرواية تلك الرغبة القوية لدى الفرد الجزائري في تحقيق التغيير بالنضال و المعارضة و الرفض التام لكل أنواع الفساد الذي تفرزه السلطة السياسية في الجزائر في تلك الفترة.

5- شخصية "رفيق":

ينتمي "رفيق" إلى الجماعة السرية المعارضة التي حرصت على أن تجعل أفرادها يحلمون بقيام الثورة التي ستسقط الأقنعة عن الوجوه السياسية التي تسببت في فساد الأوضاع في الجزائر. وقد حاول "مفتي بشير" من خلال هذه الشخصية تصوير خبايا و أسرار و طبيعة النضال لدى الجماعة المعارضة في الجزائر.

يعد "رفيق" أحد الشخصيات المناضلة في صفوف المعارضين، الذين تسيّرهم و توجّههم قادة متحكمة في طبيعة المواجهة ضد السلطة، التي لم يكن من الصعب عليها إخماد حرارة المعارضة و المواجهة في نفوسهم و هو ما جعل "رفيق" يشك في صدق و حقيقة القضية التي تبنتها الجماعة المعارضة: **<<- تأسسنا ضد الحكم المفرد و لكن بعد وفاة الزعيم شعرت أننا أخطأنا في توجيه السهام، لقد**

[1] الرواية، ص 38.

كنت شابا مندفعا و العيب في القادة، هم كانوا يحللون و يسيروننا بالطريقة التي يريدوننا أن نسير بها..>>[1].

ينقل "مفتي بشير" للقارئ من خلال شخصية "رفيق"، ذلك الفساد الذي امتد ليصل للفئة المعارضة، التي شهدت بعض الخيانة في صفوفها، و هو ما عملت على تحقيقه السلطة السياسية لزعزعة وحدة المعارضين و القضاء على رغبتهم في النضال، و ذلك بشراء ذمم بعض القادة ذوي النفوس الضعيفة و المتلهفة للخلاص الفردي، و هو ما يوضحه حديث "رفيق" عنهم: **<< سرنا خلفهم و عندما بدأت الاعتقالات لم يعتقلوهم، بل نحن، تصور، هم تمكنوا من الفرار و البعض قام بصفقات مشبوهة مع النظام، ...>>[2].**

على الرغم من إدراك "رفيق" للفشل و الخسارة التي ألحقت بالمعارضين، إلا أن أمله و حلمه في استمرار المعركة و المواجهة لم يتوقف، و هو على يقين أن الشعب الجزائري يوما ما سينهض لإعادة المحاولة و سيحدث ثورة لا محالة: **<<... كان على ثقة من شيء واحد على الأقل، "ما خسره لا يجب أن يخسره ابنه، و أن الحياة مستمرة، المعركة لن تتوقف >>[3].**

استطاع "مفتي بشير" من خلال شخصية "رفيق" أن يكشف عن الغموض و اللبس الذي يحيط بالفرد الجزائري، تجاه الصراع القائم بين الفئتين المعارضة و المساندة للنظام السياسي السائدة في البلاد.

---

[1] الرواية، ص 68.

[2] الرواية، ص 68.

[3] الرواية، ص 69.

6- شخصية "عدنان" (ابن رضا شاوش):

يثير "مفتي بشير" في هذه الرواية من خلال شخصية "عدنان" قضية الإرهاب، حيث يعد "عدنان" أحد أعضاء الجماعة الإرهابية التي كان لها يد في اضطراب الأوضاع، في الفترة التي دخلت فيها الجزائر في دوامة من العنف و الأزمات و الاغتيالات. إذ من المعروف أن الإرهاب في الجزائر: << **استغرق مدة غير قصيرة و ارتكب جرائم كبيرة و ارتكبها بفظاعة بلغت أقصى ما بلغته الهمجية** >>[1].

تعد فترة الثمانينات و التسعينات الفترة التي تبنت فيها الجماعة المعارضة العنف لمواجهة السلطة السياسية القامعة للمجتمع، الذي شهد تحولا في نفوس أفراده المتجهين نحو التدين. لتظهر بذلك جماعات دينية تستقطب الشباب أمثال "عدنان" الذي زرعت في نفسيته الرغبة في الجهاد لنيل و تحقيق الحرية. وقد أدت هذه الرغبة في الجهاد إلى << **ما شهدته سنوات التسعينات من نيران دامية أتت على الأخضر و اليابس و التهمت القريب منها و البعيد** >>[2]. لكن هذا لم يأت إلا كنتيجة حتمية لما كان يعانه الفرد الجزائري من قمع و ضغط و ظلم و اضطهاد من طرف السلطة الحاكمة، ليكن بذلك << **القهر الاجتماعي ضاغطا على الشخصيات، إلى درجة الدفع بها نحو اختيار العنف وسيلة للتعبير عن قهرها، أو للرد على قاهرها** >>[3].

---

[1] مخلوف عامر، الرواية و التحولات في الجزائر، ص 88.

[2] جعفر يايوش، الأدب الجزائري الجديد، ص 74.

[3] الشريف حبيلة، الرواية و العنف، ص 199.

تكشف شخصية "عدنان" في هذه الرواية عن فشل الثورة التي قامت بها الفئة المعارضة في الجزائر. فنزول معظم أفراد الجماعة الإرهابية من الجبل لا يدل إلا على استمرار قوة و سيطرة السلطة السياسية على البلاد و بقاء بعض الأفراد أمثال "عدنان" لا يدل إلا على استمرار المعارضة و رفض الفرد الجزائري للأوضاع السائدة التي لم تتغير في الجزائر: <<- **لقد صعد إلى الجبل و بينما نزل الجميع بقي هو هناك مع فرقة قليلة العدد، بعث لي رسالة يخبرني فيها بأنه توعدوه بالقتل إن عاد إلى الحياة المدينة، ...>>**[1].

يظل "عدنان" ضحية الفساد السياسي الجزائري، الذي دفعه إلى الهروب من القمع و الظلم الذي فرضه الواقع الجزائري على الفرد ليسقط في حالة اللااستقرار و اللاأمن التي فرضتها حياة الإرهاب البائسة في الجبل فكان بذلك "عدنان" أحد: << **هؤلاء الشباب المتمرد الذي رفض منطق الظلام المفروض عليه ليغرق في ظلامه الآخر** >>[2].

تبقى الحرية هاجس لدى "عدنان" الذي يمثل الفرد الجزائري الغاضب، و الذي سعى لتحقيق حلمه حتى و إن كان هذا آخر ما سيحققه في حياته، مستعدا في ذلك لتحمل كل مشاق الحياة، المهم أن يكون حرا و محققا لقضيته التي يؤمن بها كحقيقة مطلقة: <<- **هذا العالم الذي تراه أمامك، نعيش بحرية، أو نموت من أجل قضية حقيقية، و مكافأتنا هي ما ينتظرنا في السماء** >>[3].

---

[1] الرواية، ص 162.

[2] الرواية، ص 163.

[3] الرواية، ص 164.

إن النهايــة التــي وضــعها "مفتــي بشــير" لشخصــية "عــدنان" و التــي هــي القتــل، تمثـل نهايـة ثـورة الثمانينـات التـي لـم تحـدث أي نـوع مـن التغييـر أو التحـول فـي الواقـع الاجتماعي و في طبيعة الحكم السياسي في الجزائر.

توصـل "مفتـي بشـير" فـي روايتـه "دميـة النـار" إلـى تقـديم صـورة واضـحة، سـعى فيهـا إلـى إزالـة كـل أنـواع الغمـوض و اللـبس فـي طبيعـة المعارضـة فـي الجزائـر مسـتعينا فـي ذلـك بشخصـيات جسـدت كـل أنـواع المعارضـة التـي قـام بهـا الفـرد الجزائـري فـي فتـرة مـا بعـد الاسـتقلال، وصـولا إلـى انقلابـات الثمانينـات و التسـعينات، التـي نالـت و قضـت علـى العديـد مـن المعارضـين و كشـفت عـن العديـد مـن الوجـوه الخائنـة التـي انحرفـت نحـو مصـالحها الشخصـية و خلاصـها الفـردي، و زادت مـن قـوة و سـيطرة العديـد مـن السياسـيين علـى السـلطة و الـتحكم المطلـق فـي تسـيير شـؤون الـبلاد. و هـو مـا أراد "مفتـي بشـير" توضـيحه انطلاقـا مـن توظيفـه لهـذه الشخصـيات المعارضة.

<u>المبحث الثالث:</u> الشخصيات المتقلبة في ظل الواقع السياسي السائد.

<u>تمهيد:</u>

يـدفع إيمـان الفـرد بـالواقع إلـى الاستسـلام لهـذا الواقـع، و للتحـولات و التقلبـات التـي تطـرأ عليـه، حيـث تكـون ظـروف الواقـع هـي الأسـاس فـي تكـوين طبيعـة الإنسـان و تشـكيل مسـاراته و توجهاتـه فـي الحيـاة. و قـد يصـاحب التحـول الـذي يطـرأ علـى الواقـع تحـولا فـي ذاتيـة الإنسـان، الـذي عـادة مـا يتخـبط فيـه لينتهـي بـه المطـاف مسـايرا و خاضعا لأكثر ما هو سائد في واقعه.

فكما يؤثر الواقع على حياة الإنسان، يؤثر الإنسان بدوره في الواقع و في تشكيله، و هو ما نلمسه في العديد من المجتمعات التي يكون فيها نظام الحكم الفاسد الذي يسيّره الإنسان، أكثر ما يساهم في اضطراب الواقع، ذلك أن **<< السقوط الاجتماعي و الأخلاقي ليس غير رمز دال على السقوط السياسي >>**[1].

و مثل هذا السقوط السياسي، قد شهدته الجزائر في فترة من فتراتها التي أرغم فيها الفرد على خوض غمار تحولات الواقع السياسي، التي انجرّت عنها تقلبات و تحولات في ذاتية الفرد و مسار حياته، دون أن يسلم من حتمية الاندماج و الانخراط في فضاء الفساد السياسي كضرورة لإثبات وجوده في الواقع، الذي حاولت الرواية الجزائرية رصده **<< و الوقوف عند أعنف الإشكاليات التي تجلت بعد الاستقلال و أفرز أسئلتها النظام السياسي المتبع في ذلك الوقت >>**[2].

لم يكن تحول الفرد الجزائري، و انتقاله من حالة لأخرى، إلا نتيجة لاضطراب الواقع الذي كان انعكاسا للفساد الذي أفرزته السلطة السياسية في الجزائر في تلك الفترة، و هذا ما وقف عنده "مفتي بشير" في روايته "دمية النار" حين حاول رصد و تصوير كل التحولات و التغيرات التي طرأت على شخصيات الرواية و الحالة التي آلت إليها في ظل الواقع السياسي السائد، **<< هذا الواقع الذي قدّم المجتمع**

---

[1] مصطفى عبد الغني، قضايا الرواية العربية، ص 130.

[2] آمنة بلعلي، المتخيل في الرواية الجزائرية ــ من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل للطباعة والنشر و التوزيع، الجزائر، دط، 2007، ص 61.

إلـــى عمليـــة انتحـــار طويلـــة جســـدتها العشـــرية المأســـاوية خـــلال التســـعينات >>[1] في الجزائر.

لـذلك كـان رصـد "مفتـي بشـير" لـبعض التحـولات السياسـية فـي الجزائـر، جسـدته شخصـيات اختارهـا بعنايـة و منحهـا قابليـة للتـأثر بـالواقع السياسـي. تطـل فـي الروايـة بكـل أبعادهـا لتشـكل الصـورة التـي سـعى "مفتـي بشـير" إلـى إيصـالها للقـارئ، الـذي سيسـتوعبها دون شـك لكونهـا مسـتوحاة مـن الواقـع الـذي تـورّط فـي فسـاده معظـم أفـراد المجتمـع الجزائـري، لـذلك فـإن << **كثيـرا مـن الـروائيين الجزائـريين، خاصـة فـي عشـرية التسـعينات قـد غلبـتهم المحنـة، فأصـبحنا نقـرأ أخبـارا لا تختلـف عمـا نشـاهده أو نقـرأه فـي وسائل الإعلام المختلفة >>**[2].

جعـل "مفتـي بشـير" شخصـية "رضـا شـاوش" فـي روايتـه، شخصـية متقلبـة بـين المعارضـة و مسـاندة الواقـع السياسـي السـائد، و تنتقـل شخصـية "رانيـا" مـن عالمهـا البسـيط إلـى عـالم السياسـة و النظـام و المـؤامرات، كمـا ينتقـل "كـريم" للانضـمام إلـى الجماعـة الإرهابيـة المعارضـة للنظـام السياسـي، فـي حـين يتواطـأ "الشـيخ أسـامة" مـع هذا النظام بعد أن كان معارضا له.

1- شخصية "رضا شاوش":

تمثـل شخصـية "رضـا شـاوش" فـي روايـة "دميـة النـار"، مـدى تـأثر الفـرد الجزائـري بطبيعـة النظـام السياسـي فـي الجزائـر، فكثافـة حضـور هـذه الشخصـية فـي الروايـة و استحضـار كـل تفاصـيل مراحـل حياتهـا لـيس إلا كشـفا عـن ذلـك الاضـطراب

---

[1] المرجع نفسه، ص 60.

[2] المرجع نفسه، ص 104.

و التوتر الذي صاحب الفرد الجزائري في الفترة التي شهدت فيها الجزائر فسادا سياسيا، متجذرا في الواقع، يشمل كل ميادين و مجالات الحياة.

تحضر شخصية "رضا شاوش" في كل أحداث الرواية، لتشكل خلاصة التحولات و التغيرات التي أفرزتها السياسة الجزائرية الفاسدة، إذ يتهرب "رضا شاوش" من كل ما يمكن أن يثير حقيقة تلك القوى المتسلطة و المتحكمة في المجتمع و البلاد، حريصا على الابتعاد عن كل ما يقحمه في العنف الذي تمارسه هذه القوى، و الذي تجسد عنده في الأعمال التي يقوم بها والده: **<<... كان أخي الكبير هو الذي يأخذ له الأكل وقت الغذاء، فأما أنا فكنت أتهرب من هذه المهمة العسيرة التي كانت تعني لي كشف النقاب عن عمله الحقيقي >>**[1].

لم تكن طموحات "رضا شاوش" محدودة في الحياة، بل كان يسعى وراء كل ما يمكن أن يملأ فراغه و من شأنه أن يثبت وجوده الفعلي في الواقع، الذي كان وعيه و إدراكه له لا يختلف عن باقي أفراد المجتمع الجزائري، الناقمين على الأوضاع و الراغبين في تغييرها، لذلك كان انخراطه في صفوف الجماعة السرية المعارضة، غايته إيجاد ضالته في الحياة ليكون بذلك معاديا للواقع الذي فرضته السلطة السياسية على الفرد الجزائري في تلك الفترة: **<<... لم أكن متحمسا لأي نشاط سري. و لكنني و قد بلغت سن الخامسة عشر، صارت لي رؤاي أنا أيضا، مفاهيمي المجردة، مخاوفي القلقلة و مشاعري المكهربة، طموحاتي التي لا حدود**

[1] الرواية، ص 34.

لهـا، ...>>[1]. و هـذا مـا دفـع "رضـا شـاوش" لاختيـار طريـق المعارضـة و الانخـراط ضمن الجماعة المناضلة ضد السلطة السياسية.

أفقـدت الظـروف السياسـية الفاسـدة التـي شـكلت واقـع المجتمـع الجزائـري، الفـرد القـدرة علـى أن يحيـا حيـاة عاديـة مسـتقرة، خاليـة مـن الضـغط و الـدفع نحـو إحـدى الجهـات المتصـارعة فـي الجزائـر. و هـو مـا كـان يبـدو "لرضـا شـاوش" حـين بـدأ فـي ممارسـة مهامـه فـي الجماعـة المعارضـة، التـي يـرى أنهـا لا تحقـق أحـلام الفـرد و غاياتـه بقـدر مـا تسـتنزف قـواه و تدفعـه نحـو الهـلاك: **<<... كنـت أتسـاءل لمـاذا ثمـن النضـال هـو هـذا بالـذات أن يفقـد الإنسـان قدرتـه علـى أن يعـيش حيـاة عاديـة مثل بقية البشر >>**[2].

و علـى الـرغم مـن إدراكـه بـأن هـذه الجماعـة تـدافع عـن قضـية عادلـة، إلا أنـه متأكـد مـن عـدم تحقيـق هـذه الغايـة فـي ظـل السـلطة السياسـية الفاسـدة المسـيطرة علـى كل شـؤون البـلاد: **<<... لـم أسـتطيع الانخـراط معهـم فـي نفـس مـا يقومـون بـه لأننـي لـم أكـن مؤمنـا بـذلك، و لعـل الأمـر ظـل هكـذا، فبالنسـبة إلـيّ أنـا أضـعف مـن القتـال حتـى المـوت مـن أجـل أحـلام ربمـا لـن تتحقـق >>**[3]. ليستسـلم بـذلك للجهـة القويـة التـي تضـمن لـه القـوة و الاسـتمرارية فـي الصـعود للانضـمام لرجـال القـوة و الثـراء فـي البـلاد. و للوصـول لمثـل هـذا فـي الجزائـر كـان لابـد مـن الخضـوع و مسـاندة النظـام السياسـي حتـى و إن كـان فاسـدا، و هنـا يظهـر تقلـب و تحـول شخصـية "رضـا شـاوش" حـين وضـع نفسـه فـي خدمـة النظـام السياسـي الفاسـد فـي تلـك الفتـرة، مبتعـدا بـذلك عـن كـل مـا لـه علاقـة بالنضـال و المعارضـة: **<< تركـت الجماعـة بعـدها غيـر نـادم،**

---

[1] الرواية، ص 37.

[2] الرواية، ص 38.

[3] الرواية، ص 39.

أو كمن خرج من حلمه ذاك مستيقظا، و أحسست بحريتي في أن أكون ما أكون ...>>[1]، و هو أن يكون ضمن الفئة القوية في البلاد و الذي سيضمنه له ولاؤه و وفاؤه للنظام السياسي السائد في الجزائر.

لم يكن الفرد الجزائر غافلا تماما عن طبيعة الحكم في البلاد، ذلك أن تكرار الأحداث الغامضة جعلت الفرد يشعر بخطورة الأوضاع في الجزائر، كما أفقدته الثقة بالسلطة الحاكمة. و هذا ما يظهر في شخصية "رضا شاوش" الذي يحمل وعيا تجاه الممارسة السياسية في الجزائر، التي شهدت نوعا من الصراع بين أعضائها و مسيّريها، مدركا أن الإطاحة بالمسؤولين و الاغتيالات الحاصلة بينهم ليس إلا تجريد النظام من الذين نال منهم الضعف، إذ كان لابد لهم من دفع ثمن تضارب المصالح: **<<... كنت متيقنا من أن المصالح تناقضت بين طرف و طرف و كان على واحد منهما (الأضعف بالضرورة) أن يدفع الثمن في النهاية، تلك هي قاعدة اللعبة عندما تلعب مع الكبار في حلبتهم الضيقة ...>>**[2]، لتهمش بذلك مصالح البلاد على حساب المصالح الشخصية، و هو الأسلوب نفسه الذي اتبعه "رضا شاوش" حين أبعد امكانية تحقيق مصالح البلاد، في الفترة التي لم تحتل فيها مسؤولية حماية البلاد أي مكانة لدى السياسيين.

تكشف حياة "رضا شاوش" عن وعي الفرد بحقيقة الأوضاع في الجزائر، التي تسيّر بطريقة غامضة و تفقد الفرد حقوقه و حرياته، تحت ضغط و تسلط ذوي النفوذ و المناصب العليا في البلاد، لتصبح بذلك الأوضاع في الجزائر قائمة على الفساد و العنف و الصراع و اللااستقرار. و هي الصورة التي ترتسم في ذهن

---

[1] الرواية، ص 41.

[2] الرواية، ص 51.

"رضا شاوش" تجاه البلاد التي يتعرض فيها الفرد لكل أشكال الإهانة، و هو ما يتضح في الكلام الذي وجهه "سعيد بن عزوز" "لرضا شاوش": «... **أين تحسب نفسك؟ أنت في الجزائر يمكنني أن أرميك الآن في زنزانة و لن يسمع بك أحد من اليوم** »[1]. و هذا التهديد لم يثر مخاوف "رضا شاوش" لإدراكه أن كل الناس في الجزائر تتعرض للإهانة و التهديد خاصة الضعفاء منهم.

دفعت الظروف المزرية التي يعيشها الفرد الجزائري "رضا شاوش" إلى البحث عن طريق للخلاص من حياة التعساء في البلاد، و هو الطريق الذي سينقله من الفئة الضعيفة و البسيطة في المجتمع ليحوله إلى الفئة القوية و المسيطرة على البلاد، فكان لقاؤه برجال السياسة و إدراكه لمدى النفوذ و حياة الرفاهية التي يعيشونها، أيقظ في نفسيته الرغبة في التغيير و التحول بالانتماء إليهم: «... **في داخلي كان قلبي يتحرك بهذا الاتجاه و التساؤل عن العمل الذي يجب أن أقوم به لكي أصبح سيدا مثلهم، و ليس عبدا مثلما هي حال الأغلبية** »[2].

حرصت طبيعة الحكم في الجزائر على أن يكون الفرد خاضعا و مساندا للنظام السياسي، باعتبار أنه الطريق و السبيل الوحيد لضمان مكانته بين الأقوياء في المجتمع، حيث أن: «... **من يسير في هذا الطريق لابد أن يقبل في عميق أعماقه الخضوع لقوة أكبر منه، بل خضوعه هو طريقه، كلما خضع كلما زادت قوته، أو اقترب من منبع القوة الأكبر منه،** ...»[3]، لذلك كانت طبيعة الحكم في الجزائر في تلك الفترة هي الأساس الذي يتحكم في تحول و تغير و تقلب نفوس الأفراد، التي سايرت نظام الحكم بحسب ما تقتضيه مصالحها الشخصية و هو ما

---

[1] الرواية، ص 65.

[2] الرواية، ص102.

[3] الرواية، ص 158.

سعى لتحقيقه "رضا شاوش" حين حاول ضمان وجوده و مكانته في المنظمة السياسية الحاكمة للبلاد: «... **فهمت من خلالهم أن شطارتي كانت في إثبات وفائي لهم و ولائي لميولهم، و قدرتي على التنفيذ المحكم و الدقيق لما أنجزه من مهامات، و مع كل مهمة كنت أنجزها كنت أشعر بأنني أتعمق أكثر في منظمتهم تلك**، ...»[1].

تصور شخصية "رضا شاوش" الفئة المتأثرة بالواقع الفاسد الذي أفرزته السلطة السياسية في الجزائر، و هي الفئة التي نجحت هذه السلطة في انتقائها بعناية من المجتمع، و تجنيدها لخدمة مصالحها، و تهيئتها لتكون خير خلف لها: «... **كانوا يتباهون بي كواحد من الذين استطاعوا أن ينقلوهم من حال لحال آخر**، ...»[2]. و هو انتقال "رضا شاوش" من حالة المعارضة إلى حالة الخضوع للنظام السياسي، تحت تأثير المصالح الشخصية التي لا يمكن تحقيقها إلا في ظل مساندة السلطة.

يستمر "رضا شاوش" في التغلغل و التسلق في عالم السلطة، لدرجة جعلته يتحول إلى إحدى الدعائم التي يرتكز عليها الفساد السياسي في الجزائر، ليحتل بذلك المكانة التي يتمتع بها السياسيون و يكتسب تلك القدرة على التسلط و القمع الذي يمارسونه في المجتمع الجزائري: «... **صرت واحدا من تلك الكلية الغامضة التي تتحكم في مصائر و أقدار الآخرين [...] لقد صارت لي حياة رجل يمتص دماء الناس يقتات منهم بلا رحمة**، ...»[3]. لذلك وجدت السلطة السياسية في "رضا شاوش" تلك الآداة التي تسيّرها لتنفيذ مؤامراتها و اغتيالاتها و جرائمها

---

[1] الرواية، ص 114 - 115.

[2] الرواية، ص 120.

[3] الرواية، ص 126.

بدقة دون أي نقاش منه، ليكون في المقابل << **فردا من تلك الجماعة الغامضة و المريضة، و التي تعيش خلف ستار من حديد، و لا يعرفها أحد من الناس،** ...>>[1].

يصور "مفتي بشير" من خلال شخصية " رضا شاوش" فضاعة أحداث الثمانينات، التي كان للسلطة السياسية يد في إحداثها، إذ أثّرت خطورة الصراع على شخصية "رضا شاوش" الذي كان في جانب منه غير راض عن هذه الأوضاع، التي لن تنال إلا من الأبرياء و الضعفاء من المجتمع، حين حاول تنبيه الجماعة المعارضة بخطورة ما كان يدبر لهم في الخفاء. و لكونه ينتمي إلى << **صنف الذين يملكون تلك القوة الغريبة لجعل كل الناس مفسدين أو هالكين،** ...>>[2]، لم تسمع كلمته و لم يثق به من طرف الجماعة المعارضة، لتزيد هذه الثورة فقط من قوة و سيطرة المسؤولين السياسيين في البلاد.

لم يكن ذلك التحول و التقلب في شخصية "رضا شاوش" إلا انعكاسا للتحولات و التقلبات التي عرفها الواقع الجزائري في ظل السلطة السياسية الفاسدة، ذلك أن << **الإنسان هو محصلة بيئته، و تاريخه الشخصي** >>[3]. و هو ما حاول "مفتي بشير" رصده في رواية "دمية النار" من خلال توظيف شخصية "رضا شاوش" المتقلبة و المتحولة في ظل الواقع السياسي السائد.

---

[1] الرواية، ص 134.

[2] الرواية، ص 146.

[3] الرواية، ص 156.

2- شخصية "رانيا مسعودي":

وجد الفرد الجزائري نفسه في ظل الواقع السياسي مساهما في ضياع واقعه الاجتماعي، ذلك أن طبيعة الحكم في الجزائر حرصت على إقحام كل الأفراد في عالم الانحراف و الفساد، خاصة استغلالها للنفوس الضعيفة و البسيطة في المجتمع و الحالمة بالحياة المستقرة، لكن فقدان الفرد الجزائري للأمن و الاستقرار في حياته، تحت ضغط الظروف الاجتماعية المزرية التي حرصت السلطة السياسية على زرعها في المجتمع، هيّأ هذا الفرد للتحول و التغير نحو ما سيضمن له الحياة الكريمة. و هو ما جسدته شخصية "رانيا" في رواية "دمية النار"، و التي تظهر في الرواية << **كفرد من المجتمع، فرض عليه شروطه و اختار له مسار حياته، و في الغالب حدد له مصيره المعروف مسبقا بحكم الحتمية القاهرة** >>[1]. و هذا ما يلخص حياة "رانيا" التي حاولت التحرر من قيود المجتمع لتجد نفسها ضحية الاستغلال الذي يمارسه النظام السياسي في الجزائر في الثمانينات.

حاول "مفتي بشير" من خلال "رانيا"، تعرية و فضح الأساليب التي ينتهجها النظام السياسي الجزائري في تنفيذ مؤامراته و مخططاته السرية، و الذي كان لابد له من الاعتماد على أمثال "رانيا" التي هربت من القهر الاجتماعي لتنخرط في ظلمات عالم السياسة، الذي استغلها في الفترة التي أحس فيها بخطورة المعارضة و غضب الشعب، إذ << **اخترقت الرواية الجزائرية أنظمة المجتمع المهيمنة على الفرد، و راحت تكشف طبيعة العلاقات الانسانية و الاجتماعية المتحولة، و ضغط الظروف الاقتصادية القاهرة، المسيطرة على حركة المجتمع**

---

[1] الشريف حبيلة، الرواية و العنف، ص 211.

و المسيرة لنظامه >>[1]. و على هذا النحو، تغيرت حياة "رانيا" التي حولها المجتمع إلى امرأة ساقطة، وضعت لخدمة مصالح ذوي النفوذ و القوة في البلاد: **<<... انتقلت كما قدر لها ذلك من حياة لحياة [...] كل شيء يمكنه أن يتحول، و يتدمر، و يموت، و يعود بعدها من جديد في صور أخرى >>**[2].

تتحول شخصية "رانيا" في ظل الواقع الاجتماعي المزري الذي أفرزته السلطة السياسية، إلى أداة يستفيد منها النظام من خلال عملها الذي يقربها من الشخصيات التي يشك فيها و في ولائها للنظام، فكانت بذلك كغيرها من الأفراد الخاضعين الذين جندوا لخدمة النظام: **<<... الآن تعمل في كباريه السعادة [...] أردت إخبارك بأنني جنّدتها لخدمتنا >>**[3].

وصلت الأمور السياسية التي يسيّرها رجال القوة في الجزائر إلى حد استغلال الأفراد و دفعهم إلى الانحراف، و ذلك لحماية مناصبهم العليا في النظام و تحقيق مصالحهم الشخصية، فكانت شخصية "رانيا" في رواية "دمية النار" أكثر ما يصور هذه الفئة المنحرفة و المستغلة في المجتمع، حيث جسدت الطرق التي يعتمدها النظام في حل أموره المعقدة. فكان تجسس "رانيا" على الشخصيات السياسية هو الأسلوب المتبع من طرف الجهاز للكشف عن مصدر الضعف و الخيانة لتصفيته و القضاء عليه بسهولة و بسرية تامة، و هو ما يفسر إدراك الجهاز لخطورة ما ستسفر عنه صحوة الضمير لدى الرجل السمين: **<<... فمادامت رانيا تعمل لصالح سعيد بن عزوز فهي حتما تتجسس على الرجل السمين الذي كانت تصرفاته**

---

[1] المرجع السابق، ص 210.

[2] الرواية، ص 125.

[3] الرواية، ص 124.

الأخيرة تنم على الكثير من الندامة و التحسر، مما جعل الجهاز يحذر منه، و يجند رانيا لمراقبته >>[1].

و بهذا مثلت "رانيا" إحدى الوسائل التي استعملها النظام السياسي في الجزائر، للنيل من كل محاولة للتغيير أو المعارضة. إذ جاء توظيف شخصية "رانيا" في هذه الرواية غرضه الكشف عن الخبايا و الأسرار التي مكنت النظام السياسي من الاستمرار في الحكم.

3- شخصية "الشيخ أسامة":

يصعب على الإنسان التمسك بمواقفه و الصمود أمام ضغوطات الواقع التي تدفعه للتغير و التحول. و هي الحال نفسها التي يعيشها الفرد الجزائري في ظل السلطة الفاسدة التي جعلت نفسية الفرد تتأرجح بين خضوعها للواقع السياسي و رفضها له.

و قد استطاع "مفتي بشير" من خلال شخصية "الشيخ أسامة" في رواية "دمية النار"، تجسيد ذلك التحول و التغير الذي طرأ على العديد من أفراد المجتمع الجزائري، الذين عايشوا عنف الصراع الذي شهدته الجزائر في فترة الثمانينات، القائم بين الفئة المعارضة المطالبة بتغيير الأوضاع و التي كان يساهم فيها "الشيخ أسامة"، و **<< جيل المسؤولين الذين يحاولون السيطرة على الجزائر بالجهوية و النفوذ و استغلال السلطة و المحسوبية و رفض التغيير، بحثا عن تحقيق المصلحة الذاتية >>[2].**

---

[1] الرواية، ص 131.

[2] آمنة بلعلي، المتخيل في الرواية الجزائرية، ص 73.

حرص"الشيخ أسامة" من خلال وعيه بالواقع على توعية الأفراد و توجيههم و دفعهم للانضمام إلى الجماعات المعارضة، و ذلك ببث الرغبة في نفوسهم في النضال و الجهاد في سبيل تغيير الأوضاع في البلاد، معتمدا في ذلك على ثقافته الدينية لاستمالة النفوس و التأثير فيها: **<<... كنا مجموعة في الحقيقة، كل شهر ينضّم إلينا شباب و رجال جدد، و أصبحنا بذلك قوة متينة ضد الشر، لم يكن الشيخ يطلب منا تغيير الأوضاع [...] وعندما تأتي ساعة الحقيقة، و يأمرنا بالتغيير و الصدح بالحق نكون بعد تطهر قلوبنا من أدران الدنيا و وسخها مستعدين للتضحية >>**[1].

لكن هذه الثقافة الدينية سرعان ما تحولت إلى أداة تخدم مصالح النظام السياسي، و ذلك تحت الضغط الذي تمارسه السلطة على الفرد، حيث تدفعه لتغيير مواقفه و توجهاته، ليختار في ظل الصراع و تشابك الأوضاع التي أنهكت قواه، الفئة القوية التي ستمنح له القوة و تحمي مصالحه الشخصية. لتكون بذلك شخصية "الشيخ أسامة" في هذه الرواية، وسيلة يشار من خلالها إلى **<< الحيل الممكنة في استخدام الدين لأغراض سياسية، و إلى أن القناعة الدينية عندما تأخذ امتدادا سياسيا أو السياسة عندما ترتدي ثوبا دينيا فإن أصحابها يصعب جدا أن يتقبلوا الرأي الآخر>>**[2].

و لقد زاد المتدينون أمثال "الشيخ أسامة" من قوة النظام السياسي، الذي استطاع إخماد الثورات التي أحدثتها المعارضة في الثمانينات، و ذلك باستغلال هذه الشخصيات التي سعت وراء مصالحها الشخصية و خلاصها الفردي بولائها

---

[1] الرواية، ص 81.

[2] مخلوف عامر، الرواية و التحولات في الجزائر، ص 89.

و خدمتها للسلطة السياسية: **<<... نجحوا دائما في إخماد الثورات و لأول مرة أسمع بالشيخ أسامة يلتقي أحدهم و يخبرنا أنه في الخدمة، و سيفعل كل ما يطلب منه، ...>>**[1].

ساهمت شخصية "الشيخ أسامة" في رواية "دمية النار"، في تصوير الفئة المتدينة التي استغلت الدين لخدمة أغراضها و مصالحها الشخصية، و ذلك تحت تأثير الواقع المزري الذي أفرزته السلطة السياسية في الجزائر.

4- شخصية "كريم":

يؤكد "مفتي بشير" في رواية "دمية النار" على تأثير الواقع في تحول و تغير أفراد المجتمع الجزائري، في الفترة المتأزمة التي أقحمت الفرد في الصراع و دفعته لاختيار أحد طرفي الصراع، إما أن يكون معارضا أو خاضعا للواقع السياسي السائد.

و تحت تأثير هذا الواقع، تتحول شخصية "كريم" في الرواية و تنتقل من عالمها البسيط الذي كان يحيا فيه معظم أفراد المجتمع الجزائري في ظل التحولات و التغيرات السياسية التي لم يكن لهم أي كلمة فيها، إلى عالم المعارضين الذي **<< يغذيه الإسلاميون على اختلاف مشاربهم و إن كان الإخوان المسلمون يمثلون الجناح القيادي فيه >>**[2].

لا ينتظر من مجتمع أنهكته الأزمات و التقلبات و التحولات السياسية، إلا أن ينتج أفرادا منحرفين و متمردين، يتخذون من العنف و الإجرام وسيلة لطرق

---

[1] الرواية، ص 146.

[2] مخلوف عامر، مظاهر التجديد في القصة القصيرة بالجزائر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 1998، ص 91.

عيشهم، لذلك كان "كريم" أحد ضحايا هذه الأوضاع المزرية، حين سلك طريقا منحرفا، يمارس فيه قوته و تسلطه ضد من يراهم أضعف منه، و في الوقت نفسه يتحمل كل أشكال الإهانة و الذل لمجرد أن يقع بين الأيدي الأكثر قوة و جبروتا منه، و أمام حياة الشغب التي عاشها "كريم" كان من الطبيعي أن يلقى عليه القبض لينتهي به المطاف في زنزانة وجد فيها شخص ساهم في تحول و تغيير أفكاره و هدايته لترك كل ما كان عليه في الماضي من شغب و انحراف.

تبنى "كريم" أفكارا و مبادئ دينية، بثّها و زرعها في نفسيته "الشيخ أسامة"، و هي المبادئ التي دفعته للتحول و التغير و البحث عن طريقه و مساره في الحياة للنجاة و الخلاص، و ذلك بالانضمام إلى الجماعة الإرهابية للنضال و الجهاد و التضحية من أجل تحقيق الحرية و العدالة في البلاد: **<< ماذا حدث هناك؟ في تلك الظلمة القاتمة حتى يتغير، أو يشعر بأنه كان في طريق مريب و مظلم و أنه بعد سنوات لابد له من شيء جديد، شيء آخر يتمكن عبره من النجاة بروحه ...>>**[1].

يكون بذلك "كريم" أحد الإسلاميين الناقمين على الواقع، المتعصبين و المتمسكين بمواقفهم، و العاملين على تحقيق غايتهم بالصراع و ممارسة العنف، تحت شعار المبادئ الدينية التي يتبنونها: **<< شعرت بقلق عليه، بخوف من صورته الجديدة، و تساءلت بداخلي: هل يتغير الناس حقا؟ أم أنهم سينقلون العنف الذي كان متوجها نحو الخارج إلى عنف جديد لا يعلمون حتى هم ضد من سيكون >>**[2].

---

[1] الرواية، ص 79.

[2] الرواية، ص 83.

لقد أدى تمسك هذه الأطراف بمواقفها و توجهاتها إلى إحداث انقلابات و ثورات، يصعب على الفرد الجزائري التعرف فيها على الجهة الفاسدة و العدو الحقيقي للبلاد. لكن القتل و الموت الذي وضعه "مفتي بشير" كنهاية لشخصية "كريم" و غيره من المناضلين في الجماعات الإرهابة، يبرز انتصار السلطة السياسية على هذه الجماعات و استمرار تحكمها في البلاد.

حاول "مفتي بشير" في " روايته" دمية النار" تسليط الضوء على الأحداث المزرية التي شهدتها الجزائر في فترة الثمانينات، و التي لم يسلم من تأثيرها أي فرد في المجتمع الذي دفعته لمسايرة تحولات و تقلبات الأوضاع.

خاتمة

تحمل رواية "دمية النار" أبعادا و دلالات أفصحت عن خبايا و أسرار الواقع الذي دفع البلاد نحو الهلاك.

اتخذ "مفتي بشير" من خلال روايته "دمية النار" مهمة فضح و تعرية أساليب الحكم في البلاد و طبيعة الصراع القائم بين الشعب و السلطة، حيث أصبح الأديب متحررا من قيود الصمت التي فرضت عليه، ليتخذ مسؤولية طرح مثل هذه القضايا التي تحمل في أعماقها حقيقة فساد المجتمع و ضياع الشعب و معاناة نفسية الفرد.

وضع "مفتي بشير" بطل روايته في حالة تحول و تغير، استطاع بها أن يعكس تقلبات و تناقضات الواقع الخاضع لنظام الحكم السياسي السائد، لذلك فسح له المجال لطرح سيرته الذاتية التي هيمنت على النص الروائي، باعتباره شخصية مستنبطة من معطيات و تداعيات الواقع الناتجة عن الصراع و تضارب المصالح الشخصية في البلاد.

حمّل "مفتي بشير" شخصياته أبعادا و دلالات رمزية حرص من خلالها على رسم و تقريب الصورة التي سعى إلى تقديمها و نقلها للقارئ و تسليط الضوء على الأزمات النفسية و الاجتماعية التي يتخبط فيها الفرد الجزائري من جراء الاضطهاد و القهر.

تغلغل "مفتي بشير" في طبيعة السياسة المنتهجة في الجزائر، كاشفا عن أسرارها و خباياها انطلاقا من اختيار نماذج لشخصيات سياسية أسفرت عن ذلك الفساد و الخيانة و الاضطهاد الذي صاحب الفرد الجزائري.

حرص "مفتي بشير" في بناء شخصياته على أن تؤدي أدوارا واقعية، يطرح من خلالها مرحلة العنف و الصراع التي كشفت عن ملامح الحكم و طبيعة

المعارضة، لتتوصل بذلك رواية "دمية النار" إلى إضاءة بعض الجوانب المظلمة للأحداث التي شهدتها الجزائر خاصة في فترة الثمانينات و التسعينات التي وقف عندها "مفتي بشير" مسلطا الضوء على طبيعة و مصير المواجهة القائمة بين الشعب و السلطة.

جاءت تفاصيل أحداث رواية "دمية النار" على لسان شخصية البطل، الذي عاش صخب الواقع و سار في تياره الفاسد، فظهر في شكل دمية نارية عبّرت عن تقلب نفسية الفرد الجزائري في ظل ما يحيط به من تناقضات و أزمات.

و انطلاقا من السلوكات و التصرفات التي أسندها "مفتي بشير" لشخصيات روايته، جسّد وجهة نظره تجاه الوضع السياسي السائد و أفصح عن بعض القضايا المسكوت عنها.

اهتم "مفتي بشير" بالمعطى الحي للرواية، و صبغ أحداثها بالطابع الواقعي الذي عكس أبعادا سياسية و ملامح نفسية يتخبط في تناقضاتها الفرد الجزائري.

و هكذا اصطفت رواية "دمية النار" مع الأعمال الأدبية التي رصدت الواقع، مصرة على أن تؤرخ للوضع السياسي الجزائري في فترة ما بعد الاستقلال، و أن تقدم أكثر الصور صدقا و تعبيرا عن هذه المرحلة بأسلوب فني يسمح للقارئ باستيعاب و إدراك إيحاءات هذه الصورة.

ملحق: شخصية "مفتي بشير"/ حامل الرسالة.

ينقل "مفتي بشير" أحداث رواية "دمية النار" على لسان شخصية البطل "رضا شاوش" الذي أسندت إليه مهمة سرد سيرته الذاتية. في حين بقيت شخصية "مفتي بشير" خارج هذه الأحداث، إذ انحصر دورها و حضورها في التقديم الذي وضع للرواية و الذي جاء منفصلا عن الأحداث التي تحمل السيرة الذاتية لشخصية البطل "رضا شاوش"، لذلك لم تدرج ضمن الشخصيات الفاعلة داخل الرواية، حيث لم تساهم هذه الشخصية في بلورة الأحداث و لم تتفاعل مع شخصيات الرواية. فغيابها لم يمنحها أي دور مساهم في أحداث الرواية، لذلك لا يمكن اعتبارها شخصية من الشخصيات التي انبني و قام عليها هذا النص الروائي. فهي شخصية اقتصرت وظيفتها على عرض وطرح التقديم الذي وضع للرواية. و هو ما يتضح في قول "مفتي بشير": **<<... لقد كتبت هذا التقديم فقط لأنسب لنفسي ما كتبته أنا، و لأترك صوته يحكي قصته كما كتبها هو، و على لسانه، [أي رضا شاوش] ...>>**[1].

حرص "مفتي بشير" كعادته على صبغ أعماله الروائية بطابع واقعي، يستحوذ من خلاله على ذهن القارئ و يدخله في عالمه الروائي، موهما إياه بواقعية الأحداث و الشخصيات. و هو ما حاول بعثه في رواية "دمية النار"، التي جاءت على شكل رواية داخل رواية، حين وضع تقديما يحتوي على أحداث و شخصيات سعى من خلالها إلى خلق فضاء واقعي يحيط بالرواية التي كان فيها "رضا شاوش" بطلا، فاحتوت بذلك رواية "دمية النار" على سيرة ذاتية لشخصية الروائي، و التي مهّد من خلالها "مفتي بشير" لعرض سيرة ذاتية أخرى لبطله "رضا شاوش".

---

[1] الرواية، ص 21.

عمد "مفتي بشير" في التقديم الذي وضعه لروايته "دمية النار" إلى الإحاطة بالعلاقة التي ربطته ببطل روايته "رضا شاوش"، حيث جعله شخصية واقعية، غامضة، حاملة لكثير من اللبس: **<< كانت تلك هي بداية معرفتي بهذا الشخص الذي استأثر باهتمامي فجأة كما لو كان موضوع رواية، رغبت في تتبع أطوارها و مسارها منذ النشأة حتى النهاية، ...>>**[1]. ولعل "مفتي بشير" في هذا يسعى إلى إثارة فضول القارئ و تشويقه، للكشف عن أسرار و حقيقة حياة هذه الشخصية، التي تبدو من خلال ما كتب الروائي عن نفسه في التقديم أنها شخصية واقعية راغبة في نشر سيرتها الذاتية عن طريق شخصية "مفتي بشير".

و كثيرا ما يطرح "مفتي بشير" رواياته على شكل مخطوطات، تحمل في طياتها سيرة ذاتية لشخصية البطل. و على هذا النحو جاءت رواية "دمية النار" على شكل مخطوط منحه إياه بطل هذه الرواية "رضا شاوش"، و قد عرض هذه التفاصيل في التقديم الذي وضعه للرواية و ذلك لجعل الشخصية و الأحداث أكثر واقعية.

إذ استهلّ "مفتي بشير" روايته "دمية النار" بسيرة ذاتية يشير فيها إلى وقائع و أحداث و شخصيات جعلته ينتقل من مجرد روائي إلى شخصية مندمجة في النص الروائي، ذلك أن "مفتي بشير" في سيرته الذاتية القصيرة يظهر كشخصية مثقفة مولعة بالكتابة و الأدب، يسعى إلى تحقيق وجوده الحقيقي ككاتب، رغم البؤس الاجتماعي الذي كان يعاني منه المجتمع الجزائري في تلك الفترة، إلا أن تطلعه للأدب و الدخول في عالم الكتابة الروائية، دفعه إلى معرفة الناس و استقراء الشخصيات، معتقدا أن الأدب يكون من خلال تجارب في الحياة. فكان

---

[1] الرواية، ص 10.

بذلك "رضا شاوش" أكثر الشخصيات التي استأثرت اهتمامه و فضوله للكشف عن أسرارها و الولوج إلى عالمها الداخلي، مقتنعا أن طبيعة شخصيته و غموضها سيجعل منه بطلا مناسبا في إحدى رواياته: **<<... كان مثل تلك الشخصيات الروائية التي تملك ماضيا معقدا، و تجربة مرة في كل شيء، و هي على شفا جرف من السقوط في أرض الليل التي لا قرار لها، تخيلته بطلا تراجيديا يصلح للموضوعات التي كنت أرغب في كتابتها ...>>**[1].

تحيا شخصية "مفتي بشير" حياة شاب مثقف واع بالأوضاع المزرية التي تعاني منها البلاد، إذ عاش فترة الصراع كصحفي يتتبع أخبار الانقلابات و التحولات التي هزت البلاد في تلك الفترة. و لكونه يعيش في ملجأ للصحفيين القريب من المدينة التي أمنتها الفئة القوية لحماية نفسها من الحرب، جعله ذلك قريبا من رجال القوة الذين ينتمي إليهم بطل روايته "رضا شاوش": **<< رأيت رضا شاوش جالسا في إحدى الحانات، كان بقرب أناس غرباء لم أتبينهم جيدا و إن شعرت أنهم ينتمون لتلك القوة التي نسمع عنها الكثير من الأساطير و الحكايات أكثر مما نعرفها في الواقع ...>>**[2].

خلقت حالة الغموض و السرية التي تشوب شخصية "رضا شاوش" الرغبة عند "مفتي بشير" في تتبع آثارها و البحث عن أسرار حياتها و خبايا ماضيها، فكان تقربه منها و اللقاءات التي جمعت بينهما تثير في نفسية "مفتي بشير" أفكارا و شكوكا حول حقيقة حياة "رضا شاوش"، و هو ما يتضح في قوله: **<< وجدت رضا ينتظرني هناك جالسا لوحده يتأمل. لا أخفي أن منظره أوحي لي**

---

[1] الرواية، ص06.

[2] الرواية، ص17.

بتفكيرات غريبة كأن يكون جاسوسا، أو منخرطا في سلك خطير، و أنه مصدر معلومات مهمة يخزّنها في مكان ما في عقله الباطن، ...>>[1].

لم تكن شخصية "رضا شاوش"، الشخصية الوحيدة التي مهّد لها و أشار إليها "مفتي بشير" في التقديم، بل كانت شخصية "عمي العربي" حاضرة و مشاركة في الأحداث التي جمعت بين شخصية "مفتي بشير" و بطل روايته "رضا شاوش" ليكون بذلك أحد الشخصيات التي واصلت و صاحبت "رضا شاوش" في الرواية، و قد استطاع "عمي العربي" في هذا التقديم أن يجمع بين شخصيتي "مفتي بشير" و "رضا شاوش"، حين لاحظ اشتراكهما في حب الأدب و ولوعهما بالكتابة الأدبية: **<<... تعرفت على رضا شاوش، عند رجل اسمه العربي بن داود و الجميع يناديه بعمي العربي، كان قد فتح بيته لجميع المشاغبين، أو من يراهم كذلك، في السياسة و الفن و الأدب، ...>>**[2].

لقد كان "مفتي بشير" على قناعة بأن هناك ما سيربطه بشخصية "رضا شاوش"، مدركا أنها شخصية تنتمي إلى الصنف الذي لا يرتبط بصحفي أو كاتب، إلا من أجل تحقيق غاية يسعى إليها، و هي نشر مخطوط يحمل سيرته الذاتية، فلم يكن بوسع "رضا شاوش" نشره تحت اسمه نظرا لمكانته، لذلك كان لابد من استعمال شخصية "مفتي بشير" ليحقق غايته في نشر رواية تحكي سيرة حياته: **<< – لا أريد أن أعرف رأيك، ما أريده هو أن تقرأه، ثم إن أردت أن تنسبه لنفسك فسأكون شاكرا لك هذه الخدمة، فأنا لا أستطيع حتى نشره باسم**

---

[1] الرواية، ص 12.

[2] الرواية، ص 07.

مستعار >>[1]. لتختفي بعدها شخصية "رضا شاوش" في حياة "مفتي بشير" تاركة له مهمة نشر مخطوط أرّخ فيه لحياته.

حرص "مفتي بشير" على أن يفصل بين ما كتبه هو و ما كلّف بنشره و الذي جاء في رواية "دمية النار" تحت عنوان "رضا شاوش" لذلك مهّد لها بتقديم بعنوان الروائي، مبتعدا بعد ذلك عن الأحداث، فاسحا المجال لبطله "رضا شاوش" ليسرد حقيقة حياته، و قد استطاع بذلك "مفتي بشير" إعطاء أحداث روايته و شخصياته طابعا واقعيا.

[1] الرواية، ص 19.

قائمة المراجع و المصادر

المصادر:

1- مفتي، بشير، دمية النار، الدار العربية للعلوم ناشرون – منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.

المراجع:

1- ابراهيم، خليل، بنية النص الروائي، الدار العربية للعلوم ناشرون – منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2001.

2- الأطرش، يوسف، المنظور الروائي عند محمد ديب، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، دط، 2004.

3- الأيوبي، ياسين، واقعية الأدب في رواية أنّاكارنينا لتولستوي، الدار النموذجية، بيروت، ط1، 2001.

4- الباري، محمد، إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2000.

5- بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2000.

6- برادة، محمد، الذات في السرد الروائي – دراسة نقدية، دار أزمنة، عمان، ط2، 2010.

7- بلعلى، آمنة، المتخيل في الرواية الجزائرية – من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، دط، 2000.

8- بنكـراد، سـعيد، سـيميولوجية الشخصـيات السـردية – روايـة الشـراع و العاصـفة لحنا مينا نموذجا، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2003.

9- بن مالك، رشيد، السميائيات السردية، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2006.

10- بـوعزة، محمـد، تحليـل الـنص السـردي – تقنيـات و مفـاهيم، الـدار العربيـة للعلـوم ناشرون، الرباط، ط1، 2010.

11- حبيلـة، الشـريف، الروايـة و العنـف – دراسـة سوسيونصـية فـي الروايـة الجزائريـة المعاصرة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010.

12- حسـين، سـليمان، مضـمرات الـنص و الخطـاب – دراسـة فـي عـالم جبـرا ابـراهيم جبرا الروائي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 1999.

13- زكريـا القاضـي، عبـد المـنعم، البنيـة السـردية فـي الروايـة، عـين للدراسـات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، القاهرة، ط1، 2009.

14- سـنقوقة، عـلال، المتخيـل و السـلطة – فـي علاقـة الروايـة الجزائريـة بالسـلطة السياسية، رابطة كتاب الاختلاف، الجزائر، ط1، 2000.

15- شـريبط، أحمـد شـريط، تطـور البنيـة الفنيـة فـي القصـة الجزائريـة المعاصـرة، اتحـاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 1998.

16- الصـالح، نضـال، النـزوع الأسـطوري فـي الروايـة العربيـة المعاصـرة، اتحـاد الكتاب العرب، دمشق، ط2، 1992.

17- عـامر، مخلـوف، الروايـة و التحـولات فـي الجزائـر، اتحـاد الكتـاب العـرب، دمشق، دط، 2000.

18- عـامر، مخلـوف، مظـاهر التجديـد فـي القصـة القصـيرة بـالجزائر، منشـورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 1998.

19- عبـاس، ابـراهيم، تقنيـات البنيـة السـردية فـي الروايـة المغاربيـة، المؤسسـة الوطنيـة للاتصال و النشر و الإشهار، الجزائر، دط، 2002.

20- عبـد الغنـي، مصـطفى، قضـايا الروايـة العربيـة، الـدار المصـرية اللبنانيـة، القاهرة، ط1، 1999.

21- عـودة زعـرب، صـبحية، غسـان كنفـاني جماليـات السـرد فـي الخطـاب الروائـي، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2006.

22- لحميـداني، حميـد، بنيـة الـنص السـردي مـن منظـور النقـد الأدبـي، المركـز الثقافي العربي للطباعة و النشر و التوزيع، المغرب، ط3، 2000.

23- محمـود ابـراهيم، رزان، خطـاب النهضـة و التقـدم فـي الروايـة العربيـة المعاصـرة، دار الشروق للنشر و التوزيع، الأردن، ط1، 2003.

24- مرتـاض، عبـد الملـك، فـي نظريـة الروايـة – بحـث فـي تقنيـات السـرد، المجلـس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، دط، 1998.

25- الـورقي، السـعيد، اتجاهـات الروايـة العربيـة المعاصـرة، دار المعرفـة الجامعيـة، مصر، دط، 1998.

26- يـايوش، جعفـر، الأدب الجزائـري الجديـد – التجربـة و المـآل، المركـز الـوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية، الجزائر، دط، 2007.

27- يقطـين، السـعيد، انفتـاح الـنص الروائـي – الـنص و السـياق، المركـز الثقـافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2001.

الفهرس

كلمة شكر

مقدمة ---------- أ-د

المدخل: في مفهوم الشخصية ---------- 1-10

الفصل الأول: بناء الشخصيات و أبعادها الدلالية و الرمزية----------12-49

المبحث الأول: الشخصية الرئيسية ----------12-45

تمهيد----------12-13

1- الملامح النفسية لشخصية "رضا شاوش"----------13-18

2- التحول السلبي في شخصية "رضا شاوش"----------18-25

المبحث الثاني: الشخصيات المساعدة ----------25-36

تمهيد ----------25-26

1- شخصية "والد رضا شاوش"----------26-29

2- شخصية "رانيا" ----------29-32

3- شخصية "الرجل السمين" ----------33-34

4- شخصية "سعيد بن عزوز" ----------34-36

المبحث الثالث: الشخصيات الثانوية و الهامشية ----------37-49

1- الشخصيات الثانوية ----------37-47

2- الشخصيات الهامشية ----------47-49

الفصل الثاني: علاقة الشخصيات بالوقع السياسي السائد ----------52-97

المبحث الأول: الشخصيات الخاضعة للواقع السياسي السائد ----------52-68

تمهيد ----------52-55

1- شخصية "الرجل السمين" ----------55-59

2- شخصية "الرجل ذو النظارات السوداء" ----------59-62

3- شخصية "والد رضا شاوش"----------62-65

4- شخصية "سعيد بن عزوز ----------65-68

المبحث الثاني: الشخصيات المعارضة للواقع السياسي السائد ----------68-82

تمهيد ----------68-70

1- شخصية "عمي العربي" ----------70-73

2- شخصية "عدنان"----------73-75

3- شخصية "والد سعيد بن عزوز"----------75-76

4- شخصية "الخطيب" ----------77-78

5- شخصية "رفيق" ----------78-79

6- شخصية "عدنان" ابن رضا شاوش----------80-82

المبحث الثالث: الشخصيات المتقلبة في ظل الواقع السياسي السائد -------82-97

تمهيد ----------82-84

1- شخصية "رضا شاوش" ----------84-90

2- شخصية "رانيا مسعودي" ----------91-93

3- شخصية " الشيخ أسامة" ----------93-95

4- شخصية "كريم"----------95-97

الخاتمة ---------- 99-100

الملحق ----------101-105

قائمة المصادر و المراجع----------106-118

الفهرس----------109-111